مجلة الإسلام والتصوف

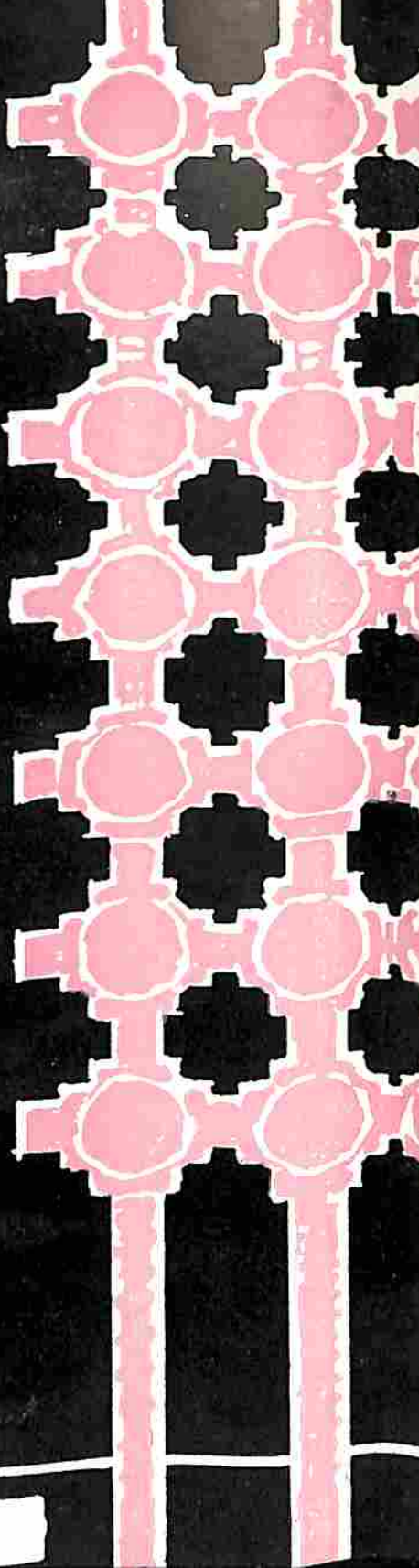

السنة الثالثة العدد السادس

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد السادس، السنة الثالثة، ١٠ من جمادى الأول عام ١٣٨٠ هـ ١ نوفمبر عام ١٩٦٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الموالد

فكرتها، وأهدافها، وكيف نتطور بها

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

للتصوف اليوم صوت رفيع يدوى فى أفق الفكر الإسلامى، وفى التصوف اليوم بريق ساحر أخاذ يستهوى أفئدة الناس فى كل قطاع من قطاعات حياتنا الاجتماعية النامية المتطورة المتطلعة إلى أخلاق أسمى، ومثل إيمانية أعلى، وحياة أسعد وأهنى

وهذه الحركة الصوفية، التى تضج اليوم بالقوة والحياة، وتسهم بفاعلية إيجابية فى تلوين الفكر العربى، والخلق

الإسلامى ، هادفة إلى إيجاد مجتمع إيمانى له مثل حية ملهمة صانعة فى كل ميدان من ميادين الحياة .

هذه الحركة ، ككل حركة ايجابية بناءة فى التاريخ ، تثير حولها الأفكار والآراء، على اختلاف ألوانها واتجاهاتها:

منها الرأى الفاقه المستنير ، ومنها الرأى الفج الغطير، ومنها الفكر المؤمن البانى ، ومنها الفكر الهدام الملتوى .

والحركة الصوفية ، بمالها من عراقة فى التاريخ ، وقداسة فى القلوب ، ومكانة من الحياة ، قد تواثب حول أسوارها الشامخة ، عبر تاريخها الطويل كثير من الآراء النزقة المندفعة من أفواه احترفت الجدل والحوار ، ومن قلوب عاشت تقتات بالحقد ، وتمضغ الموجدة ، ومن عقول لاتواجه الإيمان ورسالته، ورجاله وفكرته ، إلا بالعدواة والبغضاء ، إرضاء لما فى صدورها من نزوات وشهوات .

وكما يقول العلامة اليافعى : « إن خصوم التصوف أشبه بناموسة تنفخ على جبل تريد إزالته ، وتذهب الرياح بأمم من الناموس ، وتبقى الجبال شامخة » .

ومن الآراء الفجة الفطيرة التى يثيرها اليوم بعض أصحاب النزوات والشهوات ، أو بعض من استهوتهم الآراء الوجودية والإلحادية ، رأى يقول صاحبه : إن الاحتفال بموالد الأولياء بدعة لا يقرها الدين !!؟

بدعة يجب أن تزول من الوجود بطقوسها وعاداتها ، لأنها من آثار الاستعمار والرجعية ، وإن نستعيض عنها بالكرنفالات والمهرجانات ، كما تفعل أوربا فى أعيادها الشعبية !!؟

وهو قول فوق ما فيه من جهل بالدين ورسالته ، وبالتاريخ وأحداثه ومنطقه ، وبنفسية الشعب العربى ومثله وروحه ، يحتوى على اتجاه تدميرى إلحادى ، يريد أن يبتر حاضرنا عن ماضينا ، ويهدف إلى تمزيق وجداننا الدينى ، وضميرنا الإيمانى ، ومثلنا العليا، ومواريثنا الدينية المضيئة الملهمة .

والذى أساء إلى ديننا عبر تاريخنا فريقان ، فريق جمد وانطوى على نفسه داخل قوالب جامدة ، ولم يتطور ، ولم ينفعل بالأحداث ، ولم يمش مع خطو الحياة ونموها ، وفريق تطرف واندفع فى تطرفه حتى مرق من الدين وتحلل

من مبادئه ، وانفصل عن روحه ، وانسلخ عن مثله .

هذان الفريقان هما علة ما أصاب الإسلام فعزلاه عن ايجابيته وعن رسالته وعن قيادته للحياة .

إن ديننا دين حى نابض بالحياة ، دين تتسع آفاقه لكل تتطور نافع ، ولكل مد حضارى .

دين يشارك فى الحياة ويبنى مثلها وانطباعاتها ، ويربى ضميرها ، ويصوغ أخلاقها ، ويرسم مناهجها وأهدافها ، ويمد يده ليرتفع بكل صورها وألوانها.

إن تكريم العظماء فى كل فن من فنون الحياة ، وتخليد ذكرى القادة البناة ، الذين أضاءوا لشعوبهم طريق الحياة ، هو واجب دينى ، وهو منطق حضارى ، وأسلوب إنسانى ، ومنهج عالمى ، التقت عليه الشعوب ، وتنادت به الإنسانية .

إن هؤلاء العظماء والقادة هم ضمير كل شعب وعنوانه ، هم التعبير الحى ، عن آماله وأحلامه ، الذين يرسمون له أفقه ومثله ، ويصورون عقيدته وايمانه .

واحتفالنا بولى من أولياء الله ، الذين رسموا لنا الطريق المضىء الى الله ، وغرسوا فى وجداننا حب الله ورسوله ، والتعلق بدينه ، والتخلق بأخلاقه ، والتعلق بالمثل الأعلى فى قرآنه .

انما هو احتفال بكل هذه المعانى العليا التى يمثلها ويرمز إليها ، إنما هو وفاء منا لديننا وهدينا ، هو تجديد لعهدنا ، واستمساك برسالتنا ، واندفاع روحى وجدانى الى المثل الكريم النبيل الذى يمثله هذا الولى ، ويجسمه لنا .

وهكذا كل شعب حى ، لابد له من مثل روحية يتعلق بها ، ومن رموز عليا يسعى اليها ، ومن أمجاد يفاخر بها . ومن أيام يعتز بمعانيها وملهماتها .

انه احتفال ينبعث من مناطق الشعور والوجدان ، ويتعلق بالمعنى والرمز أكثر من تعلقه بالصورة والمادة .

ولقد أدركت الحضارة ما فى هذه المثل من قوى ملهمة ، ومن ذكريات صانعة ، فابتدعت الجندى المجهول ، كرمز لجهادها وتضحياتها ، وكنقطة يلتقى عندها شعور الأمة المشترك ، ووجدانها المنفعل بتراثها ومواريثها .

واننا لنحتفل بأعياد الثورة المباركة

مثلا ، لنستمد من هذه الذكرى المعانى العليا التى تمثلها ، والمبادىء السامية التى قامت عليها .

ونرى فى كل احتفال مادة للحديث عن رسالتها ، والالتفاف حول رايتها ، والإصرار الحى على السير فى السبل التى رسمتها وحددتها .

فهل فى هذا من بدعة كما يقول الذين تنكروا لدينهم وجهلوا حقائقه ، جهلهم بالحياة ذاتها ، وبحقائقها ومثلها.

ان الذين تصوروا أن كل قديم تاريخى يجب أن نتحلل منه ، ونتنكر له ، ونبرأ منه ، انما يريدون قفزة بعيدة جداً عن رسالتنا ، وعن مواريث حضارتنا ، يريدون تمزيق وجدان شعبنا ، وتحطيم ضميره ، واطفاء مصابيحه الروحية التى تحدد له معالم وجوده ، وترسم له الطريق إلى الله .. وإلى الحياة .

إن كلمة بدعة من الكلمات الخادعة التى أضلت كثيراً من الناس الذين لم ينالوا حظاً من الثقافة الدينية ، ومن العلم الأصولى الفقهى فتصوروا أن كل جديد لم يكن فى صدر الإسلام له مثيلا فهو بدعة تضاد الدين وتنحرف عنه .

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قد حدثنا عن الابتداع فى الدين ، كما حدثنا عن السنة الحسنة : « . . فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » وبهذا التعبير النبوى الخالد العظيم ، فتح الرسول صلوات الله عليه أمام المسلمين آفاق الحياة ، ليجددوا ويبتكروا ويزيدوا آفاقهم اتساعا ، وحياتهم نموآ وازدهارا.

واذن فيجب أن لا ننظر الى كل مالم يكن موجوداً فى صدر الإسلام وأوجدناه على أنه بدعة .

بل يجب أن نزنه بمنطق الدين ، وبمنهج الحياة وتطورها واتساعها ، فإن كان نافعاً وملهما فهو سنة حسنة ، وان كان تمرداً على الدين وتحللا منه فهو بدعة .

ذلك هو المنهج القويم ، والصراط المستقيم الذى يجب أن نستمسك به ونعتصم .

إننا لو جمدنا فى حياتنا على الصور الاجتماعية والعمرانية والإنشائية والحضارية التى وجدت فى صدر الإسلام فحسب ، لكنا مبتدعين فى الدين ، جاهلين لروحه ، محاربين لرسالته ، معرقلين لنموه وازدهاره ، وهديه العالمى.

وإلا فهل نعتبر أن الآذان من فوق المآذن ، وابتكارات الفقهاء ، وتجديدات علماء الكلام بدعة ، وصنع المدافع وإقامة المدارس والجامعات ، والطرق والمنشآت ، ومجالس الأمة ، ونظم الحكم بدعة !! ؟

إن الاحتفال بموالد الأولياء لسنة حسنة . تمشى مع روح الدين ، وروح الحياة ، وتتسق مع خطوا الحضارة التى ترتكز على كل مايلهم الروح ، ويزكى القلب ، ويصنع الخلق ، ويبدع المثل العليا التى تضىء للناس أفقهم الأعلى ، وتهبهم أروع العزمات البناءة .

انها لتعبير عن موارث أمتنا الدينية ، وتصوير حى نابض بالانفعالية لروح شعبنا وضميره .

لقد ركزت هذه الموالد فى قلوب الجماهير المعانى الدينية ، واتجهت بعوطفها إلى التعلق بالمثل الايمانية ، وأوجدت للدين هالات مضيئة تلهم حب الله وذكره ، وحب الرسول وتعظيمه ، وحب القدوة الصالحة المهتدية التى أصبحت العنوان المضىء للإسلام وآدابه واخلاقه وعباداته .

أو كما يقول المستشرق ـ لين ـ إن ساحات الأولياء فى البلاد الإسلامية ، كانت الحصون الشامخة التى توات حفظ قلب الأمة الأسلامية وصانته وحمته من الغزو الفكرى الملح العنيف الذى استهدفت به أوربا فصل المسلمين عن عقائدهم » .

إنها لرباط وثيق يربط قلب الأمة فى حاضرها بأمجادها المتلألئة فى ماضيها العظيم .

إنها لتعبير حى عن ذات أنفسنا ، وتصوير لأبعد عمق فى وجداننا التاريخى ، وضميرنا الدينى ، وتجسيم لأروع المثل المضيئة التى تلتفت حولها الجماهير ، وتتعلق بها .

ثم هى فوق ذلك ، مواسم للخير والبر ، وساحات للعبادة والذكر ، وأسواق للتجارة ، ومعارض للصناعة ، ومنافع شتى للناس ، ومنابر للكلمة المباركة ، والمواعظ الحسنة .

ومهرجانات شعبية يتنفس فيها خاصة قطاع من أكبر قطاعات مجتمعنا الاشتراكى التعاونى الدمقراطى ، قطاع الريف العظيم الذى ينظر إلى هذه الموالد ، فوق قداستها الدينية ، وملهماتها الايمانية والأخلاقية ينظر إليها كعيد بهيج ، وفرح كبير ، ومتاع كريم لنفسه ولأسرته ، بل ينظر إليها كشعاع يرشده

ويلهمه المعانى الروحية التى يتزود بها لحياته ومايلقى فى نضاله وجهاده .

ان المساس بهذه الموالد ، لصدمة كبرى لعواطف الملايين ، واستهتار بشع بشعور الملايين ، وقضاء مدمر على مواسم دينية لها جلالها وذكرياتها، وأعياد قومية لها مكانتها ورسالتها .

انه لقضاء على أكبر مراكز الاشعاع الروحى التى تضىء للناس سبلهم فى الحياة . وتمنحهم اطمئنان القلب ، ورضاء النفس ، وسعادة الحب الطاهر الصاعد الى الله المرشد الى كل نبيل ورفيع فى الحياة .

ولسنا نزعم أن هذه الموالد بصورتها الحاضرة ، قد بلغت درجة الكمال ، وانتفى من ساحاتها كل مايؤذى الذوق والحس .

ولكن ليس معنى هذا أن نتقمص أخلاق المدمرين ، أو المنحلين فندعو الى ازالتها والقضاء عليها .

وهل نعطل موسم الحج مثلا ، اذا كانت تحدث فيه أشياء لانرضى عنها ولا نقرها !! ؟

ان من ينشد الخير لدينه ولأمته ، هو الذى يقدم المنهج الاصلاحى لتقويم كل مرفق اجتماعى أو دينى ليبلغ درجة الكمال ، الكمال الذى نادت به الانتفاضة الثورية الكبرى التى يقود خطوها وتطورها المصلح العظيم رئيسنا البطل جمال عبد الناصر .

ولقد حرصت منذ يومى الأول فى مشيخة الطرق الصوفية على أن أمشى بمبادى الأصلاح الايجابية التى تنادى بها الثورة الى ذلك القطاع الصوفى العظيم ، الذى يمتد شعاعه والهامه الى كل بقعة اسلامية ، والذى يملك الطاقات الروحية ، والمثاليات الخلقية ، التى تساند كل حركة اصلاحية بناءة .

وكان فى طليعة ما اتجهت اليه ، تطهير موالد الأولياء مما تسرب اليها من عادات وطقوس ، وابرازها فى ثوب يليق بديننا ونهضتنا ورسالتنا الإنسانية العالمية .

فكتبت الى وزارة الداخلية لتمنع العاب الميسر ، ومحلات الرقص واللهو من ساحات الموالد ، واستجابت الوزارة مشكورة ، فتطهرت الموالد من هذه الصور الهابطة .

ثم ألفت لجانا من السادة مشايخ الطرق للطواف بساحات الموالد ، ومصادرة أدوات الزمر والطبل وما

شابها بمعاونة رجال الشرطة ، ومراقبة حلقات الذكر لمنع اختلاط النساء بالرجال ، وارشاد الذاكرين الى مايجب لمجالس الذكر من آداب شرعية ، واخلاق ايمانية .

وكتبت الى وزارة الأوقاف حتى لاتؤجر الأماكن التابعة لها والمجاورة لساحات الموالد الى دور اللهو .

وكتبنا إلى وزارة الارشاد لتعاوننا فى الوصول بالموالد الى ماينبغى لها من كمال وجلال .

ثم توالت رسائل المشيخة الى وكلائها فى كل قرية ومدينة للاشراف على هذه الموالد ، واصدار النشرات والتعليمات التى تستهدف ابراز هذه الاحتفالات فى أكمل الصور الدينية والقومية .

ان من واجبنا جميعا ان تمد ايدينا لتطوير هذه الموالد والنهوض بها حتى تحقق رسالتها .

واشراف مشيخة الطرق على هذه الموالد هو اشراف روحى فحسب ، وتستطيع وزارة التربية والتعليم والإرشاد ، والداخلية والأوقاف والتجارة أن تسهم بجهودها الاصلاحية والتوجيهية فى هذه الرسالة الكبرى ، كل فى حدود اختصاصه وامكانياته .

ويستطيع الاتحاد القومى أن يجعل من هذه الموالد منابر لدعوته وفكرته حيث تجتمع عشرات الالوف من كافة القطاعات الاجتماعيه .

وتستطيع المحافظات أيضا أن تتنافس فى هذه الموالد فتعرض فى ساحتها أوجه نشاطها، وتطور صناعاتها وخصائص اقليمها .

تلك بعض الخطوط العريضة التى أردنا ابرازها على سبيل الرمز لا الحصر .

ونحن نؤمن أن تطورنا الثورى بما فيه من اصلاح جذرى لحياتنا ، وارتفاع بعاداتنا ، ومناهج حياتنا ، ومشاعرنا واذواقنا .

هذا التطور الثورى وحده سيمشى الى هذه الموالد والى جمهورها ليصعد بهما

وانما واجبنا أن نسهم فى دفع عجلة هذا التطور ، وهذه هى رسالة مشيخة الطرق الصـــوفية التى تعمل جاهدة لتحقيقها ، وتبذل كل ماتملك فى سبيلها .

والله الموفق الملهم للصواب ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

حول رسالة مجلة الإسلام والتصوف :

موقف التصوف الاسلامى
من التطور . والحضارة . والتصوف العالمى

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

يتلقى تحرير المجلة فيضا متدفقا متتابعا من رسائل السادة القراء ، تفيض بالإعجاب الكبير ، وتنبض بالحب والتقدير ، ثم يفيض الحماس بهذه الرسائل فتندفع إلى مقترحات نابعة من القلب المحب الوفى ، تدور حول رسالة « مجلة الإسلام والتصوف » وما يجب أن تتخذ من منهج ، وما ينبغى أن تتسع له من أبواب ، وما تبتدع من آفاق تنفسح حتى تشتمل جوانب الحياة العصرية المتطورة .

ويتلقى تحرير المجلة أيضا سيلا من الرسائل التى تتعرض لموقف الدين والتصوف من الحياة ومشاكلها . ومن الحضارة وتطورها .

وفى بعض سطور هذه الرسائل قلوب تنبض بالأمل ، وفى بعضها قلوب تفيض بالقلق ، وبين هذه السطور وتلك ، مشاكل نفسية ، وثقافات حائرة ، واستفسارات وتحويمات حول ما يعيش فيه شبابنا من تيارات فكرية جامحة ، وفلسفات مادية حادة ، وما يحيط بهم هنا وهناك من أوجه الحضارة المتطورة ، بدويها الشهوانى الرهيب ، وبريق فتنتها العجيب ، وما يصحب هذا وذاك من تشكيك فى المثل العليا حينا ، وفى الرسالات السماوية وأهدافها أحيانا .

ومن هذا المزيج العجيب تصاغ عقول شبابنا ، وفى هذا التيه الغامض ، تترعرع قلوبهم مفعمة بالتناقض وبالشك وبالحيرة ، وهم يتلمسون الأبواب ، ويتطلعون فى الآفاق ، ينشدون شعاعا هاديا ، أو دليلا مرشدا منقذا .

وأصحاب الأقلام الدينية فى عزلة عجيبة، يحلقون بعيدا بعيدا فى آفاق مصطلحاتهم الفقهية، ومشاكلهم الكلامية، ودراساتهم التى لا تتصل بالحياة، ولا تتصل الحياة بها.

واحب هنا أن أناقش هذه الرسائل حتى نصل معا إلى المنهج الهادف للصحافة الصوفية الإسلامية.

وحتى نصل معا إلى قبس من النور نلقى به فى طريق شبابنا، ونفحة من الاطمئنان نرسلها إلى قلوبهم أمنا وهدى.

ومن بين هذه الرسائل رسالة وقعها صاحبها بإمضاء «ع. بدوى» طالب بكلية الحقوق جامعة الاسكندرية، يقول فيها بعد ثناء عاطر جميل نشكره عليه:

«إننى أشعر براحة روحية فى أعماق قلبى عند مطالعتى لمجلتى الحبيبة ـ الإسلام والتصوف ـ تلك التى سدت فراغا من علم فى ثقافتى العصرية..».

ثم يقول: «أنا شاب عصرى مثالى النزعة لى مثلى العليا أحس بروحى كالنسر تحلق فى آفاق الكون، لكن أحس فى الوقت نفسه بجاذبية التطور تتجاذبنى بقوة، وكثيرا ما أقع فى حيرة فكرية تنهش قلبى المعذب التائه هى:

هل للتصوف مكان واقعى فى هذا العصر المادى؟

هل للتصوف الآن حقيقة واقعية أم هو خيال؟

هل التصوف يعنى مثلا مدنية حضارية، أم يمثل بداوة الصحراء؟

إن لكل مذهب، ولكل فلسفة انطباعات فى الذهن البشرى وفى القلب الإنسانى، فى تفكير السياسة، وفى مناهج العزة، وفى تخطيط العلم، وفى تعبيرات الفن.

إننى أرى أن مجلة ـ الإسلام والتصوف ـ تحصر هدفها فى تاريخ التصوف الإسلامى، وتمسك عن ذكر ما هو غير إسلامى، وهذا خطأ، فالإسلام عصرى وإنسانى، تنطوى تحت اعلامه كل العصور والقرون، ويطوى فى إهابه كل الديانات وكل الحقائق؟

لماذا لا تتحدث المجلة عن الرائد العصرى المثالى ، رائد الحب المعلم (فيتوبها) الهندى ، وعن (ويتمان) فيلسوف أمريكا الروحى ، وعن (س . اليوت) شاعر التصوف الانجليزى ؟

كنت أحب أن أرى صفحة - من تجاربى - وباب - ذكريات أو مذكرات صوفى - وباب - شخصيات صوفية - وباب - من القراء وإليهم - بصفة مستمرة ،

ثم يقول : « أحب أن أرى بحوثا فى التصوف المسيحى والتصوف البوذى ، والتصوف الهندوكى ، والتصوف الكنفوشوسى ، وكذلك أيضا التصوف الوجودى .

افتحوا لنا فى المجلة الأبواب والمنافذ ، لنرى النور العالمى ، فهذا هو التجديد والتطور ، وهذه هى الحياة ، الحياة العصرية المقدسة ، تلك التى قدسها غاندى وبرناردشو وه . ج ويلز و ستيفرز ؟ » .

ثم يقول : « اعلموا أن التصوف مصدره ليس الدين فى حد ذاته ؟ ولكن مصدره الحقيقى ، ومنبعه الأصلى هو المثالية (الأخلاق الفلسفية) .

تلك خلاصة مركزة لرسالة الطالب الأديب ، وهى تعطى صورة حية ناطقة لحيرة شبابنا وقلقه واندفاعه وخطفه لبعض شذرات مبتورة من الثقافة العامة ، شذرات غير متجانسة ولا متحدة .

ومع ما فيها من حرارة وإخلاص واستشراف للخير ، فطابعها التناقض والسبح غير المدرب ولا المتسق فى أجواء وأهواء متعددة متعارضة .

وشبابنا حقا فى حاجة ملحة إلى انتقاء ما يقرأ ، وفى حاجة ماسة إلى أن نضىء فى قلبه ، وفى عقله ، المعانى الإسلامية ، ونحدد له رسالتها ومناهجها وموقفها من الفلسفات والتيارات المعاصرة التى تواثبه وتخايله ، حتى لا يخدع فى بريقها وأهدافها .

فهذا شاب يحاول جاهدا أن يقرأ ما يكتب عن دينه وله مثله العليا ، ولكنه كما يقول : يحس بجاذبية التطور العصرى ، حتى ليقع فى حيرة قلقة ، تنهش قلبه المعذب ، وتتنازع روحه فى اتجاهاتها .

وتبعث فى قلبه شكا ملحا قاسيا يدفع به بعد إعجابه بالتصوف الإسلامى أن

يتساءل . هل للتصوف مكان واقعى فى هذا العصر المادى ؟ وهل التصوف حقيقة أم هو خيال ووهم ؟

وهل التصوف يمكن أن ينجب حضارة . أم هو من خصائص البداوة والصحراء ؟

وهذا القلق ، وهذه الحيرة ، هى التى دفعته إلى أن يقول : إن مجلة الإسلام والتصوف ، ليست مجلة عصرية تشارك فى الموضوعات العصرية .

وسر الحيرة لدى الطالب الأديب ، أنه يقرأ ما يدعو إليه التصوف من أخلاق عاليه ، ومن مثاليات مضيئة ، ومن روحانية عابدة ، ثم يصطدم بواقع الحياة المادى الطاغى ، ويصطدم بوجهها الشهوانى المنتشر فى كل مكان ، ويلتقى مع الأفكار الوجودية والفلسية والانحلالية التى يموج بها عصرنا موجا يملأ الآفاق ، فينال كل هذا من قلبه البرىء ، ومن وجدانه الرقيق ، ومن مثله العليا ، حتى يكاد يجحدها ، ولا يرى لها مكانا فى الحياة ، وحتى يظن أن التصوف بمبادئه ومثله ، هو شىء خيالى ، شىء لا يتفق ولا يتسق مع الحضارة ، إنه من جو الصحراء ، ومن طبيعة البادية ؟

وأنا أعذر هذا الشاب وأشفق على أمثاله وما أكثرهم عددا ، انهم جميعا ضحايا هذه الحضارة الخادعة الزائفة التى أتقنت وأبدعت فنون الإغراء العصرى ، وأتقنت وأبدعت فنون الكلام المادى الوجودى .

واستطاعت وهى التى تملك كل أدوات التعبير ، من صحف وصور وأغانى وسينما وقصص وتمثيليات ، أن تشوه المثل العليا ، بل استطاعت أن تهدمها وأن تسخر منها وأن تقيم مكانها كلمات خادعة زائفة باسم التطور ، وباسم العصرية ، وباسم الحضارة ، وهى كلمات لا تمثل فى خياله ، إلا انطلاق الغرائز ، وإنكار الحقائق ، وجحود الخالق والتمرد على الأديان ، وتصويرها بأنها مرحلة من مراحل البداوة انقضت أيامها وانتهى زمانها .

إن الدين باعتباره مثل صانعة للحياة هو أرقى وأعلى أوجه الحضارة الإنسانية ، ولكنها حضارة بصورة أخرى ، وبوجه آخر ، غير وجه هذه الحضارة العصرية ، حضارة الشهوات والنزوات والاحتكارات ، والانطلاق من كل قيد دينى وخلقى .

والتصوف هو قمة هذه الحضارة الدينية ، حضارة المثل العليا ، حضارة الأخاء والحب والتعاون والتراحم والتكافل الإنسانى ، حضارة العفة الجنسية والطهارة القلبية ، والسلام العالمى .

ثم هى فوق هذا لا تغفل أبدا — كما يتوهم الغافلون — عن القوة ومسبباتها ، والصناعة وآفاقها . ولكنها القوة التى تساند الحق لا الاستعمار ، والصناعة التى تعمل للخير لا للدمار .

ولماذا يكون التصوف يا أخى خيالا ، لا ينسق مع الواقع ، ولماذا لا يعيش إلا فى الصحراء ؟

يخيل إلى أن سر هذا الفهم ، هو ما يتصل بالتصوف من حديث عن الزهد والقناعة والرضا ، وهى كلمات أعترف بأنها كثيراً ما أوحت إلى الناس ، أو فهم منها بعض الناس غير ما قصد بها .

فالزهد الصوفى الذى عبر عنه الصوفية ، هو أكبر القوى الصانعة البانية فى الحياة ، هو عملية صقل وتطهير وتزكية للإنسانية لتبلغ كمالها النفسى الأبى الذى لا يعرف الذل ولا الضعف .

إنه عملية تصعيد وارتفاع فوق المادة وعبوديتها وما يرتكب باسمها وفى سبيلها .

إنه التفسير الحى لقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة » .

فالصوفى لا يستعبد لمظهر من مظاهر المادة ، ولا يبيع ضميره ووجدانه وخلقه بملك الدنيا ، إنه دائماً يرتفع بنفسه وبإيمانه وبخلقه ، فوق كل رهبة ورغبة .

فالصوفى هو الذى يملك كل شىء ولا يملكه شىء ، أو بالمصطلح الصوفى : أن تكون الدنيا فى يده ، وليست فى قلبه .

ومن هنا كان بين المتصوفة القواد والملوك والعلماء وأصحاب الثروات والصناعات والشركات الزاهدين .

والتصوف ينادى بأن الله كما يقرر سبحانه فى كتابه الخالد ، قد سخر السموات

والأرض وما بينهما لنا ، ومن العبادة له أن نكشف عن أسرارهما ، وأن نضع أيدينا على مصادر القوه والطاقة فيهما ، وأن نبدع ونجدد ونبتكر ونتطور حتى يبلغ الوجود الإنسانى كماله الروحى والمادى فتتحقق له خلافة الأرض .

ومن ثم كان المنهج الصوفى ، من أكبر دوافع التطور الحضارى . التطور نحو الكمال الخلقى والمادى والدينى ، لا التطور الذى يلتمع فى أذهان الشباب الذى أضلته الحضارة العصرية ، فظن أن التطور ، هو الانطلاق والتمرد والمروق .

ومن عجب أن يمتزج معنى التصوف الإسلامى فى ذهن صاحبنا بالمذاهب الصوفية العالمية ، باعتبار أن التصوف لا ينبثق من الدين ، وإنما من الفسلفة ، فيدعونا أن نتحدث عنها باعتبارها من النور الصوفى العام ، الذى يهدى إلى الحق والإيمان .

والتصوف الهندى ، أو البوذى ، أو المسيحى ، قد يلتقى فى بعض جزيئاته فى السلوك والمعرفة ، مع التصوف الإسلامى .

ولكن التصوف الإسلامى وحدة قائمة بذاتها ، لأنه يستمد وجوده وروحه وهدفه من القرآن والسنة والرسالة الربانية .

ومن هنا يفترق منهجه الجذرى عن كافة المناهج الصوفية العالمية .

إن رسالته توحيدية نقية ، لا يعرف فى حبه وفنائه ما تعرف المذاهب الأخرى من حلول أو اتحاد بين البشرية والخالق جل جلاله .

ولا يعرف فى عباداته وأخلاقياته ومثله ، ما تستهدف المناهج الأخرى ، من رياضة نفسية ، أو تصفية روحية ، إن هدفه الأكبر هو رضوان الله ، ذلك هو الهدف ، أما التصفية والرياضة فهما الوسيلة لا الغاية .

تبقى بعد ذلك كلمة العصرية التى يقترحها صاحبنا كمظهر عام للمجلة العصرية التى تتحدث عن الفن والسياسة والأحداث العالمية .

وهذا يقتضينا أن نحدد أولا رسالة التصوف الإسلامى وصلته بالحياة ، وأثره فى توجيهاته .

ولا جدال فى أن الفهم الجذرى لرسالة التصوف يتطور اليوم وتتسع آفاقه ،

برقية الرئيس جمال عبد الناصر

لسماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية

تفضل السيد الرئيس جمال عبد الناصر فأرسل إلى سماحة السيد محمد علوان البرقية التالية .

« سماحة السيد محمد علوان . شيخ مشايخ الطرق الصوفية ورئيس المجلس الصوفى الأعلى . مصر

تلقيت بالتقدير البرقية التى بعثتم بها باسمكم وباسم المجلس والتى تضمنت أخلص المشاعر وجميل التهانى بمناسبة عودتنا من مقر الأمم المتحدة . وانى لأعرب لكم عن صادق الامتنان . كما أنى أشكركم جميعا أجزل الشكر على رقيق مواساتكم فى فقيد الوطن عدنان مدنى .

جمال عبد الناصر

وتمتد لمساته الإيمانية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية الى عمق أبعد من مدلوله العام لدى الذين قبعوا داخل حرفيات وشكليات فنية للتصوف القديم .

ومن هنا نصبح أحوج ما نكون الى تحديد معنى التصوف ، وما تشتمل عليه رسالته ، وما يستهدفه منهجه ، وفوق هذا كله موقفه من الحضارة وصلته بها وأثره الإيجابى فى مثلها وانطباعاتها .

وهذا موضوع مقالنا التالى ان شاء الله .

صفحات ونفحات

من مذهب ذى النون التصوفى

أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

ليس بين أيدينا كتب أو رسائل لذى النون أودعها وصف أحواله ، وجعل منها سجلا لأقواله التى يمكن أن يتبين منها مذهبه التصوفى وما كان ينزع إليه فى هذا المذهب من منازع روحية ومعارف ذوقية ، ولكن الأستاذ لويس ماسنيون يذكر لذى النون كتابا يعرف باسم كتاب العجائب ، كما يذكر أنه وقف على اسم هذا الكتاب من الثبت الذى أورده بروكلمان ، ولعل كل ما يمكن أن يقال عنه أنه من آثار ذى النون المكتوبة ، هو طائفة من الأقوال المأثورة والحكم والمواعظ المنظومة والمنثورة وما جرى على لسانه من أمثال ، وما جرى بينه وبين غيره من حوار حول التعاليم الصوفية وما إليها من معرفة ذوقية ومحبة الهية : فقد وقف المحاسبى وعلى بن الموفق ويوسف بن الحسين الرازى بصفة خاصة على طائفة مما تركه ذو النون من تلك الآثار ، وكلهم كان معاصراً له ، كما أن يوسف بن الحسين الرازى المتوفى سنة ٣٠١ هـ كان تلميذاً لذى النون ، اتصل به ، واستمع اليه ، وأخذ عنه . وقد ذكر الترمذى أيضاً احدى مواعظ ذى النون وفسرها على أنها حديث قدسى .

على أن كتب التراجم والطبقات التى عرضت لحياة ذى النون ، قد حفلت بكثير من أقواله وأدعيته التى تصور لنا كثيراً من آرائه فى مختلف المسائل الصوفية فالرسالة للقشيرى ، والطبقات للشعرانى ، والكواكب الدرية للمناوى ، وحلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى ، وغيرها من كتب التصوف الأخرى التى تجمع بين

التراجم من ناحية وبين مسائل التصوف وموضوعاته ومصطلحاته من ناحية أخرى كالتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ، واللمع للسراج الطوسى ، وكشف المحجوب للهجويرى ، كل أولئك قد عرض لذى النون وعرض علينا بعضاً من أقواله التى تختلف من حيث الكم والتنوع باختلاف المؤلفين . ولعل أبا نعيم الإصبهانى فيما أورد فى حلية الأولياء من آثار ذى النون ، كان أغزر هؤلاء المؤلفين جميعاً مادة ، وأوفرهم تنويعاً ، وأكثرهم ايراداً لأسماء الأشخاص الذين يتألف منهم السند الذى يرد فى نهايته هذا القول أو ذاك الى ذى النون . وليس من شك فى أن ما أثبته أبو نعيم فى هذا الباب يعد ثروة علمية لها خطرها من الناحيتين التاريخية والمذهبية لحياة ذى النون الصوفى المصرى ، ولما يتألف منه مذهبه من عناصر روحية لها قيمتها التصوفية والفلسفية : فالنفس الإنسانية وتحليل خطراتها وشهواتها وأخلاقها ، ووصف أحوالها ومقاماتها ، وتصنيف هذه الأحوال والمقامات وترتيبها ، وبيان ما يستلزمه كل منها ، وتحليل الأخلاق والكشف عما يتصل بها من بعض الأحوال والمقامات من ناحية ، وعن صلتها بالجبر والاختيار من ناحية أخرى ، والسماع وعلاقته بالوجد ، والحج ومناسكه وتأويل هذه المناسك تأويلا يبين ما تنطوى عليه من المعانى الروحية والفلسفية ، والطاعة المغرضة والطاعة المنزهة عن الغرض ، والأخوة فى الله وعلاماتها وعناصرها ، وعلم الباطن وحقيقته ؛ والمعرفة وسبيل الوصول اليها ، ومعرفة الله ووحدانيته وعلاقته بالمخلوقات ، وأن أخص خصائص المعرفة اليقينية لله أنها معرفة له به ، أو أنها معرفة يلقيها الله فى قلب العبد لا معرفة يكتسبها العبد ، والجنة والنار ، والمحبة وتعريفها وتقسيمها ودرجاتها ، والمحبة الإلهية المتبادلة بين الرب والعبد ؛ وعلاقة المحبة بالمعرفة ؛ كل أولئك وكثير غيره رؤوس لمسائل عرضت لها وعبرت عنها صراحة أو ضمنا أقوال ذى النون التى أثبتها أبو نعيم الإصبهانى فى حلية الأولياء ، وكلها يظهرنا من غير شك على أنه وان لم يكن لذى النون كتاب جامع لأشتات آرائه فى مختلف المسائل على الوجه الذى يجعل منها مذهبا مؤتلف العناصر متسق الأجزاء . فإن أبا نعيم قد كفانا مؤونة هذا الكتاب بما قدم بين أيدينا من نصوص ذى النون ؛ وأننا بدراستنا لهذه النصوص وتحقيقها والفحص عما تشتمل عليه من المعانى ،

وماتنزع إليه من المنازع وماتقوم عليه من الأسس النفسية والأخلاقية إلى جانب دعائمها الدينية ، يتهيأ لنا أن نقف منه على مبلغ ماتركه ذو النون فى الحياة الروحية الإسلامية من آثار باقية ، وماكان له فى هذه الحياة الروحية من مذهب ، وماكان يتسم به هذا المذهب من سمات تيوزوفية ظهرت على يدى هذا الصوفى المصرى لأول مرة فى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية ، ثم أخذت تدق وتتضح على أيدى من جاء بعده من الصوفية الذين أخذوا عنه وتأثروا به وزادوا عليه ، فكان من تراثهم جميعاً ما يعرف باسم التصوف التيوزوفى .

ولكى يتبين لنا هذا كله ، ويتبين معه أهم العناصر التى يمكن أن يتألف منها لذى النون مذهب ، وأبرز الخصائص التيوزوفية التى يمكن أن يمتاز بها هذا المذهب ، فإنه يحمل بنا أن نقف عند مسائل ثلاث هى فى رأينا جماع مذهبه وملتقى خصائصه ، ونعنى بهذه المسائل الثلاث :

الطريق إلى الله وتحليله إلى عناصره العملية والروحية ؛ والمعرفة ؛ والمحبة .

ولن نقف فى عرضنا لهذه المسائل الثلاث عند حد ما يذكره أبو نعيم من نصوص ذى النون التى تشتمل عليها ، وإنما سنضيف إليه أطرافا مما يورده غيره من المؤلفين الذين كتبوا عن ذى النون . وسنحاول بقدر المستطاع أن نؤلف بين هذا وذاك تأليفا تتضح معه الأفكار ، وتتبين من خلاله المذاهب .

١ — وأول ما يلاحظه المتأمل فى مذهب ذى النون الصوفى الذى يكشف فيه عن معالم الطريق إلى الله هو أن مدار الكلام عنده فى هذه الناحية إنما يقوم على أربعة أشياء : حب الجليل ، وبغض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل : فهو قد جعل من حب الله والإعراض عن الدنيا والسير على نهج الكتاب والسنة والخوف من أن ينكص الإنسان على عقبيه متابعة لنفسه ومسايرة لنزواتها وشهواتها ، أسساً يقوم عليها مذهبه الصوفى ، ومثلا عليا ينبغى أن يتحقق بها من سلك طريق الله . وليس من شك فى أن أهم هذه الأسس الأربعة وأشملها لغيرها من الأسس الثلاثة الأخرى هو ما عبر عنه ذو النون بحب الجليل ، لا لأنه قدمه على غيره من هذه الأسس فحسب ، بل لأنه كان يرى أن من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه .

وهذا يعنى بعبارة أخرى أن الوقوف مع النفس الأمارة والخضوع لنزواتها هو عند ذى النون أكثف أنواع الحجب : لأن طاعة النفس إنما هى عصيان لله ، وهذا العصيان أصل جميع الحجب . وهنا نجد لذى النون حديثاً عن الذنب وقد سئل عن سببه ، فإذا هو يجيب إجابة هى أدنى ما تكون إلى تحليل النفس الإنسانية وما يوجهها من دوافع ، وما تنزع إليه من نوازع تحملها على ارتكاب الشر واقتراف الذنب : فهو يرى أن سبب الذنب النظرة ، وأن من النظرة الخطرة ، وأن فى تدارك الخطرة بالرجوع إلى الله ذهابها ، والا فإنها تمتزج بالوساوس فتتولد منها الشهوة ، وهذا كله باطن لم يظهر بعد على الجوارح ؛ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن فى تدارك الإنسان للشهوة ما يجعله بمأمن من غوائلها ، والا تولد من الطلب العقل . فواضح هنا أن ذا النون قد رتب ما يقع فى باطن النفس الإنسانية بعضه على بعض ، ورد ما يظهر من أفعالها بعضه الى بعض ، وذلك لكى يظهرنا آخر الأمر على العلة الأولى البعيدة التى تنشأ منها وترجع اليها الشهوات النفسية التى تفسد على الإنسان حياته الروحية الباطنة وحياته العملية الظاهرة كما تفسد عليه صلته بربه اذ يخضع لنفسه ويقع فى ذنبه .

ولا يقف ذو النون فى تحليله للنفس الإنسانية عند هذا الحد الذى يكشف معه عن باطنها ويعلل شهواتها تعليلا نفسياخالصا ، وإنما هو يتجاوزه إلى شىء آخر: ذلك بأنه يتحدث عن أخلاق النفس وما ينبغى أن تتحلى به وما ينبغى أن تتخلى عنه ، حديثاً نتبين من خلاله أن النفس التى هى موضوع لذلك التحليل وشهواتها التى هى مجال لما قدم من تعليل ، هى أيضاً موضوع لعلم الأخلاق . ومنبع للمحمود والمرزول من هذه الأخلاق . وإنه ليتحدث عن أخلاق النفس تارة بالذات ، وتارة أخرى بالعرض ؛ وهو حين يتحدث عنها بالعرض إنما يذكرها على أنها مقومات أو ثمرات أو علامات لهذه الحال أو تلك ، ولهذا المقام أو ذاك من المقامات التى تمر بها نفس السالك فى طريق الله ، والأحوال التى تختلف عليها وقد جعلت غايتها ابتغاء وجه الله .

فمن أمثلة ما يعرض له بالذات من أخلاق النفس ما تحدث به عن العاقل وعن الكريم : فعنده أن العاقل يعترف بذنبه ، ويحس بذنب غيره ، ويجود

بما لديه ، ويزهد فيما عند غيره ، ويكف أذاه ، ويحتمل الأذى عن غيره . وعنده أيضاً أن الكريم يعطى قبل السؤال ، فلا يعقل أن يبخل بعد السؤال ، ويعذر قبل الاعتذار ، فلا يعقل أن يحقد بعد الاعتذار ، ويعف قبل الامتناع ، فلا يعقل أن يطمع فى الازدياد .

على أن أهمية ذى النون فى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية لا ترجع إلى هذا الضرب من تحليل أخلاق النفس وبيان آدابها وآفاتها من الناحيتين النفسية والأخلاقية فحسب ، وإنما هى ترجع أولا وقبل كل شىء — إلى هذا التحليل الرائع الذى يقدمه لهذه الآفات وتلك الآداب ، وتتبينه من خلال ما يعرضه من تعريفات الأحوال والمقامات وتصنيفاتها : فقد كان ذو النون — كما لاحظ السلمى وغيره ممن ترجم لذى النون — أول من عرف وصنف وعلم الأحوال ومقامات أهل الولاية . وقد رسم أبو سليمان الدارانى الخطوط الأولى للطريق إلى الله ، ولكن هذا الطريق إلى الله قد انتهى على يد ذى النون إلى غايته ، واستكمل صورته النهائية التى أخذتها عنه ، واعتمدتها من بعده كتب التصوف القديمة . صحيح أن عدة الأحوال والمقامات تختلف من مؤلف إلى مؤلف ، وصحيح أيضاً أن ترتيب هذه المقامات وتلك الأحوال يتباين فى كتاب من كتب الصوفية عما هو عليه فى كتاب آخر ، وصحيح بعد هذا كله أن ما يعده بعض الصوفية والمؤلفين حالا قد يعده البعض الآخر مقاما ، وما يعده هذا الصوفى أو ذاك من المقامات قد يعده غيره من الأحوال ؛ ولكن ليس من شك مع هذا كله فى أن فكرة التدرج من مقام إلى مقام ، وانتقال النفس من حال إلى حال ، وتعريف كل حال وكل مقام وتحليله إلى عناصره النفسية والأخلاقية والإبانة عن حقيقته بالإشارة الى علاماته أو أعلامه أو أعماله ، وكل أولئك قد حفلت به أقوال ذى النون الذى أفاض فيها افاضة لم يكن لغيره من الصوفية المعاصرين له أو الزهاد المتقدمين عليه سابق عهد بها . وليس من شك أيضاً فى أن الذين جاءوا بعد ذى النون من الصوفية المتحققين ، ومن المؤلفين المحققين ، قد استرشدوا بما خلفه الصوفى المصرى فى هذا الباب ، وبما اتبعه فيه من تعريفات وتصنيفات . وفى هذا يقول الأستاذ ماسينيون انه منذ نهاية القرن الثالث للهجرة قد اعتمدت هذه

الطريقة فى التصنيف الصورى لدى التسترى ، ولدى صوفية بغداد ، ثم استكملها وعدلها كل من الواسطى والسراج والقشيرى والغزالى .

ولكى يتضح مبلغ ما أفادته الحياة الروحية الإسلامية من ترتيب ذى النون للأحوال والمقامات ، ومدى ما تنطوى عليه هذه المقامات وتلك الأحوال من المعانى النفسية والأخلاقية التى اتشحت كلها بوشاح صوفى ، يحسن أن نعدد بعض ما أورده ذو النون فى هذه الناحية الهامة من نواحى الحياة الروحية ، بل التى تعد أساسا يقوم عليه صرح كل حياة روحية : فالمحبة واليقين والثقة بالله والشكر والرضى والأنس وحسن الظن بالله والشوق والخوف والإخلاص والكمال والتوكل والصبر والحكمة والزهد والعبادة والتواضع والسخاء وحسن الخلق والرحمة للخلق والاستغناء بالله والحياة والمعرفة والتسليم والإسلام والإيمان والحلم والتقوى والرجاء والحب فى الله والصدق والانقطاع إلى الله والمروءة والتودد والرشد والسعادة كل أولئك وكثير غيره أحوال تختلف على النفس الإنسانية ومقامات تتنقل بينها هذه النفس فى طريقها إلى الله ، وإن ذا النون ليعرض لكل منها معرفا به ومحللا لعناصره ومبينا لحقائقه ودقائقه ومشيراً إلى ماله من أثر فى تصفية النفس وتنقية القلب ، فيتحدث عن هذا المقام أو ذاك ، وعن هذا الحال أو ذاك ، اعتماداً على علاماته أو دلالاته تارة ، أو استناداً إلى أعلامه أو أعماله تارة أخرى ، وكل ذلك على وجه يجعل من الأحوال والمقامات موضوعا لكل من علمى النفس والأخلاق بقدر ماهو موضوع رئيسى للتصوف ودعامة قوية لما ينبغى أن يحياه المتصوف من حياة روحية قوامها الإقبال على الله وغايتها الظفر بالقرب من الله .

ولكى يتبين لنا هذا كله فى وضوح وجلاء ، يحسن أن نقف مع ذى النون عند بعض الأحوال والمقامات ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، وبالقدر الذى يكفى لإظهار ما تنطوى عليه هذه المقامات وتلك الأحوال من المعانى النفسية والأخلاقية ، وما تنزع إليه أو تتشح به من منازع روحية : فذو النون يحلل المحبة إلى عناصرها تحليلا يتبين من خلال ما يذكره من أعلامها الثلاثة وهى : الرضا فى المكروه ، وحسن الظن فى المجهول ، والتحسين فى الاختيار فى المحذور ؛

ويحلل الشكر بما يذكره من أعمال ثلاثة هى : المقاربة من الإخوان فى النعمة ، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية ، واستقلال الشكر لملاحظة المنة ؛ ويحلل الأنس بالله فيذكر ثلاثة من أعماله وهى : استلذاذ الخلوة والاستيحاش من الصحبة ، واستحلاء الوحدة ، ويعبر عن مقومات الشوق إلى الله بما يذكره من أعلام ثلاثة هى : حب الموت مع الراحة ، وبغض الحياة مع الدعة ، ودوام الحزن مع الكفاية ؛ ويصور الخوف بعلامات ثلاث هى : الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد ، وحفظ اللسان مراقبه للتعظيم ، ودواء الكمد إشفاقا من غضب الحليم ؛ وعلى هذا النحو من التحليل والتعبير والتصوير يمضى ذو النون فى بيان خصائص الأحوال والمقامات بذكر أعلامها أو أعمالها : فمن أعمال اليقين ثلاثة هى : قلة المخالفة للناس فى العشرة ، وترك المدح لهم فى العطية ، والتنزه عن ذمهم فى المنع والرزية ؛ ومن أعلام التوكل ثلاثة هى : نقض العلائق ، وترك التملق فى السلائق ، واستعمال الصدق فى الخلائق ؛ ومن أعلام الزهد ثلاثة هى : صر الأمل ، وحب الفقر ، واستغناء مع صبر ؛ ومن أعمال السخاء ثلاثة هى : البذل للشىء مع الحاجة إليه ، وخوف المكافأة استقلالا للعطية ، والخوف على النفس استغناء لإدخال السرور على الناس ، ومن أعلام الاستغناء بالله ثلاثة هى : التواضع للفقراء المتذللين ، والتعظم على الأغنياء المتكبرين ، وترك المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين ؛ ومن أعلام الحياء ثلاثة هى: وجدان الأنس بفقدان الوحشة ، والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكر ، واستشعار الهيبة بخالص المراقبة ، ومن أعلام الإسلام ثلاثة هى : النظر لأهل الملة ، وكف الأذى عنهم ، والعفو عند المقدرة لمسيئهم ؛ ومن أعلام الحلم ثلاثة هى : قلة الغضب عند مخالفة الرأى ، والاحتمال عن الورى إخباتا للرب ، ونسيان إساءة المسىء عفوا عنه واتساعا عليه ، ومن أعلام التقوى ثلاثة هى :ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها ، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس عنها ، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها ؛ ومن أعلام الحب فى الله ثلاثة هى : بذل الشىء لصفاء الود ، وتعطيل الإرادة لإرادة الله والسخاء بالنفس والمشاركة فى محبوبه ومكروهه بصفة العقد ، ومن أعمال الرشد ثلاثة هى: حسن المحاورة والنصح عند المشاورة ، والبر فى المجاورة ، ومن أعلام السعادة ثلاثة هى الفقه فى الدين ، والتيسير للعمل ، والإخلاص فى السعى .

يتبع

مشيخة الطرق الصوفية

ترحب بالضيف الكبير جلالة ملك الأفغان

بمناسبة تشريف عاهل الأفغان العظيم جلالة محمد ظاهر شاه ملك الأفغان للجمهورية العربية المتحدة . أرسل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية إلى جلالته بالبرقية التالية :

« . . . باسمى وباسم مشيخة الطرق الصوفية نرفع لجلالتكم اخلص آيات التهنئة بسلامة الوصول ، وأصدق عواطف الترحيب بزيارتكم لشقيقكم البطل العربى المجاهد الرئيس جمال عبد الناصر . وتشريفكم لأرض عربية اسلامية تقدركم وتعجب بكم ، وتحمل لشعبكم العظيم الحب والأخوة التى تدعمها عقيدة مشتركة ، وأمال متحدة ، ومثل إيمانية عليا يستضىء بها الشعبان فى جهادهما لأمن العالم وسلامه وسعادة الإنسانية ورفاهيتها » .

كما أرسل سماحته بالبرقية التالية إلى سيادة الدكتور صلاح الدين السلجوقى سفير الافغانستان بالقاهرة :

« باسمى وباسم مشيخة الطرق الصوفية نقدم لسيادتكم أصدق آيات التهنئة والترحيب بزيارة عاهل الأفغان العظيم جلالة محمد ظاهر شاه ملك الأفغان ، الأمة الشقيقة ذات الماضى الإسلامى الجليل ، والحاضر المشرق النبيل .

وإذ نهنئكم بمقدم الملك العظيم نتجه إلى الله سبحانه أن يكلأه برعايته وتأييده ، وأن يحقق على يديه الكريمتين آمال الأفغان ، وامجاد الإسلام » .

«الحرية فى الاسلام»

«للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة»

الحرية كلمة أخذتها اللغة من وصف «الحر» فالحرية والحر متلاقيان فى الوجود، تستمد اشتقاقها منه، ويتجلى هو بها. ومن هو الحر؟ هنا نجد المعانى تتزاحم، وأحيانا تتضارب عند بعض الناس، حتى نجد من الناس من يصف الذين ينطلقون غير مقيدين بأنهم أحرار، وليس هؤلاء من الأحرار فى شىء، فإن الحر حقا هو الشخص الذى تتجلى فيه المعانى الإنسانية العالية، الذى يعلو عن سفساف الأمور، ويتجه إلى معاليها، ويضبط نفسه، فلا تنطلق أهواؤه، ولا يكون عبداً لشهوة معينة، بل يكون سيد نفسه، فالحر يبتدىء بالسيادة على نفسه، وإذا ساد نفسه، وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه أصبح لايذل ولا يهون، وبذلك يكون حرا بلا ريب، وإن هذه السيادة النفسية التى يتسم بها الشخص الحر، وتكون هى العنصر الأول فى تكوين معنى الحرية فى نفسه، قد دعا إليها الإسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» وقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

وإذا كان الحر هو الذى يضبط نفسه، ولا يذل ويأنف من أن يهضم حقه، فهو لا يعتدى، فالحر لا يمكن أن يكون معتديا، لأنه يسيطر على أهوائه، ولأنه يعطى لغيره ما يعطيه لنفسه، ولأنه يحس بالمعانى الإنسانية التى يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره، وإذا كانت معانى الحرية متلاقية فى أصل اشتقاقها مع «الحر» فإن الحرية الحقة إذن لا تتصور إنطلاقا من القيود والضوابط الإنسانية والنفسية والاجتماعية، لأن الحر لا يمكن أن يكون منطلقا، وعلى ذلك لا تكون الحرية مطلقة أبدا لأنه لا شىء فى الوجود الانسانى يعد مطلقا من كل قيد، ولأن الحرية

معنى اجتماعى لا يتصور وجوده إلا فى مجتمع ، يأخذ الآحاد منه ويعطون ، وما دامت الحرية معنى اجتماعيا ، فلابد أن تكون فى قيود إجتماعية .

والذين يفهمون الحرية انطلاقا هم عبيد الأهواء والشهوات ، الذين لا يراعون حق المجتمع على أنفسهم ، ولا حق أنفسهم عليها .

ولكن يجب أن يلاحظ أن القيود الضابطة للحرية هى فى أصلها قيود نفسية ، وليست قيودا خارجية ، وهى تتكون من حقيقتين ثابتتين :

إحداهما : السيطرة على النفس كما أشرنا من قبل .

والثانية : الاحساس الدقيق بحق النفس ، وإنه من ذلك الاحساس ينبثق نور الحياء ، فهو الذى يشعر الشخص بالحق الاجتماعى ويشعره أيضا بالعلو النفسى ولذلك دعا الاسلام إلى الحياء . وقال عليه الصلاة والسلام: « الحياء خير كله » وقال:

« لكل دين خلق ، وخلق الاسلام الحياء » وإن النبى صلى الله عليه وسلم نبه إلى أن الحياء هو القيد الاجتماعى الذى لاتتحقق الحرية فى أسمى معانيها إلا به ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « إن مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . وإنه إذا انطلقت النفس ذهبت الحرية والانسانية معا .

والحرية قد يتصور أن تقيد بقيود خارجة عن النفس يقيد بها القانون ، وإذا تدخل القانون لتقييد الحريه ، فإنه إذا كان عاد يجب أن يكون الباعث عليه هو ضعف القيود النفسية ، فإذا كان الصحفى أو الشاعر لا يلاحظ حق الغير فى التمتع بحرية رأيه ، بل يعتدى عليه بالتشنيع والأذى فى كرامته وسمعته ، فإن القانون يقيد حرية الصحيفة والشاعر ، ليمكن أن يتمتع الآخر بحريته ، وتعجبنى فى هذا كلمة رجل العلم والقانون والحرية « سعد زغلول » إذ يقول رضى الله عنه : « كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية ذاتها ، وإلا كان ظلما » فتقييد حرية المنفلتين الذين لا يراعون حق المجتمع يكون المبرر له هو المحافظة على حرية الغير .

وكل النظم الاجتماعية والقانونية العادلة إنما هى لتوفير الحرية الحقيقية لكل

إنسان ، وهى أيضا لحماية المجتمع من الانحراف .

وإننا وقد وصلنا إلى هذا القدر من التحليل نقرر أن القيود والنظم إذا كانت فى هذه الدائرة لا تعد تقييدا للحرية فى ذاتها ، لأن الذين يقيدون بهذه القيود ليسوا أحرارا ، وإنما هذه القيود هى ضوابط مانعة من الانطلاق ، والافلات من المعانى الاجتماعية والانسانية ، فهى ليست تقييدا لذات الحرية ، بل هى حمايةلها .

الحرية الشخصية :

وإن أول مظهر من مظاهر الحرية : هو الحرية الشخصية ، وهى تتضمن حرية الشخص فى أن يعتقد ما يراه حقا ، وأن يقرر مايراه حقا ، وأن يتصرف فى دائرة شخصه بما يعود عليه بالخير فى نظره من غير تدخل من أحد ، ولا تحكم ذى سلطان فى إرادته ، وأن يكون له الحق فى إبداء رأيه فى كل ما يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وإن الحرية الشخصية على هذا تتشعب إلى شعب : فهى تتناول حرية الاعتقاد أو التدين ، وحرية الرأى ، وحريه العمل والقول والتصرف ، والحرية السياسية والاجتماعية ، .

حرية التدين :

احترم الاسلام حرية الاعتقاد ، وجعل الأساس فى الاعتقاد أن يختار الإنسان الدين الذى يرتضيه من غير إكراه ، ولا حمل ، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم ، وأن يحمى دينه الذى ارتضاه ، فلا يكره على خلاف ما يقتضيه ، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة :

أولها — تفكير حر غير مأسور بشىء سابق من جنسية أو تقليد .

وثانيها — منع الاكراه على عقيدة معينة ، فلا يكره بتهديد من قتل أو نحوه .

وثالثها — العمل على مقتضى ما يعتقدو يتدين به .

وقد حمى الإسلام هذه العناصر الثلاثة ، فدعا إلى التحرر من ربقة التقليد ، ودعا الناس إلى التفكير بالدليل والبرهان ، وتعرف الحقائق من آيات الله البينات فى السموات وفى الأرض ، وانظر إلى القرآن الكريم وهو يدعو الناس إلى التفكير فى آيات الله تعالى الكونية ليستنبطوا من إبداع المخلوقات وحدانية الخالق :

« أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا أو جعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء فى الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله ، تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدىء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وهكذا تجد الآيات القرآنية تدعوا إلى التأمل الحر فى الآيات الكونية ، من غير أى تقيد إلا بالأدلة العقلية الهادية . ونعى سبحانه وتعالى على المشركين التقليد ، لأن التقليد ، وحرية الاعتقاد نقيضان لايجتمعان ، ولقد جاء فى القرآن الكريم مانصه : وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، ولوكان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون . ولقد منع الاسلام الاكراه فى الدين ، فقد قال تعالى : « لاإكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصال لها ، والله سميع عليم » ، وقال سبحانه : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ولقد أراد أحد الأنصار أن يحمل ابنين له على الإسلام فنهاه النبى عليه الصلاة والسلام . ولقد نهى القرآن الكريم عن الفتنة فى الدين ، أى أضطهاد الناس لأجل عقائدهم ودينهم واعتبر الفتنة فى الدين أكبر من القتل ، فقال سبحانه : « والفتنة أشد من القتل » .

وأمر القرآن الكريم بقتال من يفتنون الناس عن دينهم ، فقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

وما أبيح القتال فى الاسلام إلا لحماية الحرية الدينية ومنع الاضطهاد الدينى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

وإن المسلمين الأولين كانوا حريصين كل الحرص على ألا يكرهوا أحدا فى دينه ، وإنه ليروى فى هذا أن عجوزا نصرانية قابلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحاجة لها عنده ، وبعد أن أداها لها دعاها إلى الاسلام فأبت ، فخشى عمر أن يكون فى كلامه إكراه لها ، فقال : اللهم إنى لم أكرهها ، لا إكراه فى الدين ، فقد تبين الرشد من الغى » .

وحمى الاسلام من يكونون فى ظل الحكومة الاسلامية من غير المسلمين ، فمنع الحكام من أن يعملوا على التضييق عليهم فى إقامة شعائر دينهم ، والقاعدة الفقهية التى حرص المسلمون على تنفيذها هى « أننا أمرنا بتركهم وما يدينون » .

ولذا يتوافر للذين يعيشون فى ظل الاسلام حرية الاعتقاد ، فلا يضارون فيما يعتقدون ، ويقيمون الشعائر الدينية كما يحبون ، وكما يريدون ، ولقد رأى عمر رضى الله عنه هيكلا لليهود قد ستر بالتراب ، ولم يبق ظاهرا إلا أعلاه . فجاء بفضل ثوبه ، وأخذ ينفض التراب المتراكم فاقتدى به الجيش ، فزال كل ما فى الهيكل ، وبدا واضحا ليقيموا عنده شعائرهم الدينية .

وعندما ذهب إلى بيت المقدس لم يصل فى كنيسته ، فقيل له ألا تجوز فيها الصلاة ، فقال خشيت أن أصلى لله فيها ، فيزيلها المسلمون من بعدى ويتخذوها مسجداً . وهكذا نجد الفاروق بهدى النبى صلى الله عليه وسلم يحمى الشعائر الدينية لمن كانوا فى ولايته من غير المسلمين .

وإن الاسلام ليحمى نظام الأسرة عندهم فلا يجيز لأحد أن يتدخل فى تنظيم الزواج والطلاق إلا بمقتضى عقيدتهم وتنفيذ أوامر دينهم ، وما يجب عليهم أن يتبعون فيها ، ولا يتدخل أبدا إلا إذا كان ثمة إعتداء على حق مسلم ، وأبيح لهم ما يبيحه دينهم ، حتى إنهم لو كانوا يأكلون الخنزير ويشربون الخمر ، ليس لأحد أن يمنعهم ما داموا لا يعتدون على أحد ، وقد أثار هذا عجب بعض الأئمة ، فقد أرسل عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى يسأله : « مابالنا تركنا المجوس ينكحون بناتهم والنصارى يأكلون الخنزير ، ويشربون الخمر ، فرد عليه الحسن البصرى قائلا : « أخذنا الجزية ، وعلى هذا أقرهم السلف الصالح ، إنما أنت متبع لا مبتدع » .

وإن الاسلام ليحمى كرامتهم من أن يعتدى عليها ، حتى لا يرهقهم ذلك ، فيدخلوا فى الاسلام مكرهين ، ولم تشرب قلوبهم حبه ، ولذلك لما سابق قبطى ابن عمرو بن العاص ، فسبقه ، وعلاه ابن عمرو بالسوط ، وشكا المجنى عليه إلى عمر ، احضر الضارب مع أبيه ، وأمر الفتى القبطى أن يقتص لنفسه ممن ضربه فضربه وأمره عمر بالزيادة ، وقال متهكما : زد ابن الأكرمين ، لأن ابن عمرو عندما اعتدى على القبطى قال : أتسبق ابن الأكرمين ، ثم أمر الفتى القبطى بأن يضرب على رأس عمرو نفسه ، وأزاح العمامة عن رأسه ، وقال اضرب على صلعة عمرو . فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى ، فقال الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل : فباعمه ضربك ، ثم التفت إلى عمرو ، وقال له : منذكم ياعمرو استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ .

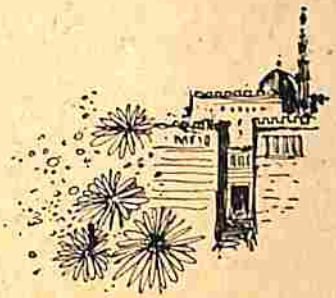

من روائع الأدب الصوفى :

منـــاجاة ....

للإمام الجنيد

من أجل روائع الأدب الصوفى . أدب المناجاة ، أدب فيه ذوق والهام ونور ، وفيه هدى ومعرفه وتربية . وتلك مناجاة لسيد الطائفة الامام الجنيد .. من الشواخ العالية

... اللهم إنى اسألك ياخير السامعين وبجودك ومجدك ياأكرم الأكرمين ، وبكرمك وفضلك يا اسمح السامحين ، وبأحسانك ورأفتك ياخير المعطين .

أسألك سؤال خاضع خاشع متذلل ، اشتدت إليك فاقته ، وانزل بك على قدر الضرورة حاجته ، وعظمت فيما عندك رغبته ، وعلم أن لايكون شيء إلا بمشيئتك ، ولا يشفع شافع إليك إلا بعد إذنك .

فكم من قبيح قد سترته ، وكم من بلاء قد صرفته ، وكم من عثرة قد قلتها ، وكم من زلة قد سهلت بها ، وكم من مكروه قد رفعته ، وكم من ثناء قد نشرته

أسألك ياسامع أصوات المستغيثين ، وعالم خفى اضمار الصامتين ، ومطلع فى الخلوات على إقبال المتحركين ، وناظر إلى مادق وجل من آثار الساعين ، أسألك الا تحجب - بسوء فعلى - عنك صوتى ولا تفضحنى بخفى ما اطلعت عليه من سرى ، ولا تعاجلنى العقوبة على ما علمته من خلواتى ، وكن بى فى كل الأحوال رافقا وعلى كل الأحوال عاطفا .

إلهى وسيدى وسندى أنابك عائذ لائذ مستغيث مستجير من تكاثف مخاوف علل سرى ، ومن لزوم ذلك ضميرى وقلبى ، حتى يكاد ذلك أن يملأ صدرى ، ويوقف على الانبساط إلى ذكرك عقلى ولسانى ، ويمنع عن الحركة فى الخدمة جسمى ، أسألك أن تخرج ذلك عن ذكرى ، وتمنعه عن قلبى ، واجعل أوقاتى من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك وعبادتك موصولة ، حتى يكون الورود ورودا واحداً ، والحال حالا واحداً لاسآمة فيه ولا فتور ، ولا ملل ولا تقصير ، حتى أسرع به إليك فى حين البادرة ، واسرح بذلك إليك فى ميادين المسابقة ، وأرزقنى من طعم ذلك اللذائذ السابقة .. ياأكرم الأكرمين

الإسلام والحضارة العالمية

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية

يحاول الباحثون المعاصرون أن يعطوا الألفاظ مدلولاتها المحددة ، ليساعدوا بذلك على دقة التفكير ، ووضوح التفاهم بين الناس . ومن الألفاظ التى يعرضون لها ألفاظ (الثقافة) و (المدنية) و (الحضارة) فهى ألفاظ كثيرة الدوران على الألسنة ، وفى الكتابات المختلفة عن الاجتماع البشرى ، وما يحدث فيه من رقى أو تأخر ، ومن تأثير وتأثر .

ونحن — فى المرحلة الحاضرة من حياتنا فى مصر وفى سائر الأمم الإسلامية، نعنى كثيرا بهذه الموضوعات، فنكتب الكتب والمقالات فى شأنها ، ونذيع الأحاديث عنها، ونحضر المؤتمرات المحلية أو الدولية لدراستها ، ومن الخير أن تكون مدلولاتها واضحة فى أذهاننا .

ولعل معظم الباحثين اليوم يتفقون على أن كلمة (ثقافة) عندنا تقابل مايسميه الغربيون « Culture » فبين اللفظين شبه فى أصل المعنى ، إذ كلتاهما تعنى التهذيب والتربية والتنمية ، ومن هنا أصبح المدلول العام لكل من هاتين الكلمتين ـ العربية والأفرنجية ـ الجانب الروحى المعنوى من حياة الفرد أو الجماعة : فثقافة مصر ـ مثلا ـ تتمثل فى دينها وعاداتها وتقاليدها وفنونها وآدابها وفلسفتها ومذاهبها فى الحياة ، وقل مثل ذلك حين نتكلم عن الثقافة الإسلامية ، أو الثقافة الغربية .

أما كلمة (مدنية) فمن السهل أن نصطلح على أن نعنى بها جانب العلم والمادة والاختراع من حياة الأمم : فالمدنية الغربية ـ مثلا يقصد بها ذلك الرقى العلمى والمادى الذى حققته أوربا وأمريكا فى العصر الحديث والذى قام على أساس الطريقة والنظريات

العلمية وما أدت إليه من اختراع ، ومن تسخير لقوى الطبيعة ، وتحكم فى عناصرها ، وما كان لذلك من أثر فى المعيشة وأساليبها ، وفى السلم والحرب ، والصناعة والزراعة وما إليها .

ويجرى بعض الكتاب على استعمال كلمة (حضارة) فى هذا المعنى أيضاً فهى عندهم مرادفة فى الاستعمال لكلمة مدنية ، وكلتاهما على هذا تقابل الكلمة الغربية Civilization

ولكننا ـ هنا ـ سنستعمل كلمة (حضارة) فى المعنى الواسع الذى يشمل (الثقافة والمدنية) ، أى يشمل ظواهر الحياة الروحية والحياة المادية كلتيهما . فإذا تحدثنا عن حضارة الإسلام ـ مثلا ـ قصدنا بها ما وضعه الإسلام من أسس للعقيدة والأخلاق ونظم الحياة الفردية والجماعية وما أنتجته البيئات الإسلامية من أدب وفن وفلسفة ، وما وصل إليه علماء تلك البيئات من نظريات ، وما أبدعوه من مخترعات . وإذا تحدثنا عن الحضارة الإنجليزية فى القرن التاسع عشر ـ مثلا ـ عنينا بها كل تلك المقومات فى حياة الإنجليز فى ذلك القرن .

ومن المشاهد أن الغربيين يعنون عناية كبيرة بتاريخهم الحضارى ويدرسونه فى مدارسهم وفى جامعاتهم ، وهم يعتبرون دراسة تاريخ حضارتهم ركنا أصيلا فى دراسة أدبهم ولغتهم وعلومهم . ونحاول نحن فى نهضتنا الحديثة أن نسايرهم فى هذا ، وأن نعنى بابراز المقومات الكبرى والمعالم الرئيسية لحضارتنا الاسلامية ، حتى يكون شبابنا على علم بها وذكر لها . ولكننا لم ننتج بعد كتبا صالحة فى هذا التاريخ الحضارى يقرؤها الشباب المتعلم ، ويثقف بها الجمهور . صحيح أننا ألفنا فى الأدب والفن والفلسفة والتاريخ والعقلية الاسلامية ، وكتبنا بعض رسائل فى جوانب من العلم ، ولكن جهودنا فى هذا أشبه بالجداول المنفصلة لم تؤلف بعد نهرا جاريا ، فهى لاتزال جزئية ينقصها الروح العام الذى يكون من كل هذه الفروع كلا حيا مترابطا هو تاريخ الحضارة الاسلامية .

ولا شك أن الوقت قد حان للعناية بهذه الناحية فى مناهج التربية الاسلامية فى المرحلة الثانوية وفى الدراسات العالية . ومن الخطأ أن يظن أن العناية بهذه الناحية تهم طائفة واحدة من الباحثين والمفكرين ـ وهم الذين يدرسون الأدب

والفن والفلسفة الاسلامية مثلا - فإن رجال العلوم فى طبهم وهندستهم وطبيعتهم وكيمائهم مطالبون أن يصلوا ما انقطع من سلسلة الجهود العلمية الاسلامية ، وأن يضعوا أمام طالب العلم تاريخا كاملا محققا للفرع الذى يدرسه : فلست أفهم أن يتخرج طالب مصرى فى كلية للعلوم - مثلا - دون أن يدرس تاريخ الجهود الاسلامية فى علوم الحيوان والنبات والطبيعة والكيمياء والرياضة ، ودون أن يضع هذه الجهود فى مكانها من تطور العلم فى تاريخ البشرية ، ودون أن يتعرف بعض شخصياتها الخالدة كالجاحظ والدميرى وابن البيطار وجابر وابن الهيثم وغيرهم . وقل مثل ذلك فى طالب الطب وطالب الهندسة والعمارة وغيرهما من طلاب المعرفة .

ومن الانصاف أن نشير هنا إلى نماذج من بعض جهود علمائنا المحدثين فى سد هذا النقص : الأول ما صنعه الدكتور طه حسين حين دعى منذ سنوات للمحاضرة بكلية الطب بالقصر العينى ، فقد جعل موضوع محاضرته - على ما أذكر - مناظرات الطبيب البغدادى ابن بطلان مع معاصره الفيلسوف المصرى ابن رضوان ، وكلاهما عاش فى القرن الخامس الهجرى .

والثانى الدكتور محمد كامل حسين المدير السابق لجامعة عين شمس فقد حضرت له منذ عشر سنوات محاضرة فى كلية العلوم بالاسكندرية موضوعها جهود العرب فى علم الكيمياء ، والثالث الأستاذ نظيف المدير السابق لجامعة عين شمس فقد توفر على دراسة نظريات العالم الرياضى والطبيعى المشهور « ابن الهيثم » الذى عاش معظم حياته العلمية فى مصر ، وتوفى بالقاهرة سنة ٤٣٠ هـ . ولا شك أن هنالك جهودا أخرى فى هذا الاتجاه لغير هؤلاء من رجال الفكر المعاصرين .

ان شبابنا المثقف فى حاجة إلى استكمال المعارف التى لابد منها فى تكوين شخصيته ووعيه : فليس أضر على هذا الشباب من أن ينشأ غافلا عن كثير من مقومات حضارته ، وعن مكان تلك الحضارة من تاريخ الانسانية . انه فى حاجة إلى أن يلم بالحالة التى وصلت إليها الحضارات القديمة قبيل الاسلام فى فارس والهند والامبراطورية الرومانية ومصر والمغرب ، وإلى أن يعرف الأسس والتوجيهات الكبرى التى وضعها الاسلام لرفع الانسانية إلى المستوى اللائق بها ، وإلى أن يعرف

كيف انتشر الاسلام فى تلك الممالك فى مرحلة قصيرة من الزمان ، وماذا كان موقفه من أهل العقائد الأخرى ، وعنايته بهم فى البلاد التى دانت لسلطانه ، وكيف كان حرصه على أن يفيد ثقافاتهم ، ويؤلف من تلك الثقافات تراثا إنسانيا عاما يتسع لجهود المفكرين والباحثين من مختلف البيئات والأجناس . ولعل مثلا واحدا هنا يكفى فى الدلالة على حرص الاسلام على ذخائر الثقافة : يذكر التاريخ أن الخليفة المأمون حين هادن صاحب « قبرس » أرسل إليه يطلب خزائن كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليه أحد أبداً ، فأرسلت إليه ، وأنه صالح صاحب الروم على أن يدفع إليه ما عنده من كتب القدماء ، وأرسل بعوثا من ثقاته من المسلمين والنصارى لنسخ مالا يتأتى لملك الروم إخراجه من الكتب ، فاجتمع للمأمون بذلك خزانة عظيمة - فوق ما حمل إليه من الشرق والغرب - وجعل « سهل بن هارون » الكاتب المشهور خازنا لها .

والشباب محتاج أن يعرف كيف أثر الاسلام فى حضارات الأمم الأخرى ، وكيف تأثرت بها حضارته ، ثم ماذا أضاف إليها من جهود مفكريه ، وكيف كانت حضارته عاملا كبير الأثر فى حركة الاحياء وفى نهضة أوربا الحديثة . هو محتاج إلى هذا كله ليصحح فكرته عن الاسلام وحضارته : فلم يكن الاسلام مجرد ثقافة روحية ، ولم تنحصر حضارته فى الأدب والفن والفلسفة والتصوف ، ولم يكن التعصب وضيق الأفق من خصائصه ، ولا كانت حضارته تراث جنس واحد أو أمة خاصة بين الأمم . لقد أنشأ الإسلام حضارة واسعة غنية ، فيها الروح والمادة ، وفيها المعرفة والعمل ، وفيها الأدب والعلم ، اتسع صدرها لكل نافع من ذخائر الحضارات القديمة ، وطبعت تطور الإنسانية بطابعها عدة قرون ، ثم تلقى الغرب عنها مبادىء النهضة فى العصور الوسطى ، وأخضع نفسه لمؤثراتها . واعترف علماؤه بهذا الأثر ، وكتبوا فيه الرسائل والكتب .

هذه الحقائق التى نسوقها هنا فى صلة الإسلام بالحضارة يمكن استثمارها عمليا ، بأن نجعل من الدراسات الأصيلة فى تعليمنا الثانوى درسا للحضارة الإسلامية بكل عناصرها ومقوماتها ، وبأن ننشىء كرسيا أو أكثر فى جامعاتنا لتاريخ العلوم ، وبأن يوجه بعض علمائنا جهودهم لاحياء التراث العلمى

الإسلامى ، كما يفعل زملاؤهم فى ميادين الأدب والفلسفة ، وبأن تؤمن الكليات العلمية عندنا بضرورة تعريب مناهجها ، واصطناع اللغة العربية أداة للبحث والتدريس فيها . هذه النقطة الأخيرة تثير شيئاً من النقاش والجدل ، فإن بعض علمائنا فى ميادين الطبيعة والكيمياء والأحياء وغيرها لا يزالون يرون من الأوفق أن تدرس هذه المواد فى جامعاتنا بلغة أجنبية - كالإنجليزية - مثلا - معللين هذا بأن المصطلحات والمراجع والبحوث فى هذه الميادين فى الوقت الحاضر موفورة فى اللغات الأجنبية ، وبأن محاولة تدريس هذه المواد باللغة العربية يحتاج إلى مجهود جبار فى تعريب المصطلحات وفى تأليف الكتب بالعربية ، وبأن البحث الذى يقوم به عالم مصرى وينشره بالعربية لا يجد طريقه فى سهولة إلى البيئات العلمية الغربية .

هذا كله صحيح ، ولكن للحياة الإنسانية الراقية قيمتها التى لا تستقيم بدونها ، ومن بين هذه القيم أن تستكمل الأمة مقوماتها الثقافية ، وأن يكون لها كيانها الفكرى ، وأن تصل حاضرها بتراثها الماضى ، وفى كل هذا تلعب اللغة القومية الدور الأكبر . وقد نجحت مصر فى مستهل نهضتها فى القرن التاسع عشر فى تذليل هذه الناحية كما نجحت الحضارة الإسلامية فيها كذلك فى العصر العباسى ، فنشطت حركة الترجمة فى العصرين ، وزودت الثقافة القومية بزاد خصب من ثمار الحضارات الأجنبية . ولعل هذا يفسر حكمة الإسلام فى عنايته باللغة العربية ، ونشره إياها فى كل مكان تلى فيه كتابه وانتشرت مبادئه ، واتخاذه منها أداة قوية من أدوات الترابط والتعاون والوحدة بين الأمم الإسلامية .

كتاب اللمع ....

ومكانته من التصوف الإسلامى

كتاب اللمع ، هو اعظم تراث صوفى ، فى التاريخ الاسلامى وقد قدمه اليوم إلى عالم التصوف محققا محررا ، بعد تخريج احاديثه ، واستكمال النقص الكبير فى أبوابه ، الكاتبان الكبيران : الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور . وقد قدم سيادتهما لهذا الكتاب العظيم بمقدمة رائعة ننشرها لما فيها من علم ومعرفة ، ودراسة صوفية عميقة هادفة .

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين إماما وقدوة ، وجعلتا من اشواق الحب الإلهى ، ومن إلهامات الروح القرآنى ، ومن مثاليات الخلق المحمدى ، منهجا فى المعرفة ، وطريقا فى السلوك ، ومعراجا للوصول ، فقدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية ، قدمتا التصـــوف الإسلامى مشرقا مبينا ، فيه هدى ، وفيه نور ؛ يرسم الطريق المستقيم المضىء ، المخبتين المتبتلين ، الذين احالو الكون ، محاريب للمناجاة والطاعات ، وجعلوا من مشاهده صفحات ناطقات ملهمات. الطريق المضىء الصاعد إلى رضوان الله وقربه ، وأنسه وحبه ، وهداه وعلمه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه وبيانه ، وإليهما الفتوى والفيصل فى مناهجه وقواعده، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، النابعة من الكتاب والسنة ، لم تتفرق بهما السبل ، ولم تجنح بهما الأذواق والأشواق ، فلما يعترفا أبدا بالسبحات الفلسفية ، والشطحات المترنحة والكلمات الغامضة ، التى تسربت إلى الأفق الصوفى ، وحاولت أن تنتسب إليه ، وأن تتستر بأشواقه وأذواقه .

أما المدرسة الاولى ، فهى مدرسة الامام أبو القاسم الجنيد ببغداد ، وهى مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها ، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال . . الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية ، كأعلام تضىء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده.

والمدرسة الثانية ، هى مدرسة

الإمام أبو نصر السراج الطوسى بنيسابور ، وهى مدرسة أتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها ، وشرح رسالتها ، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها .

وجعلت من صفحات هذه الكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال ، وخزائن خالدة ، تحفظ للأجيال ، هذا التراث المضىء العظيم .

وصاحب اللمع ، أبو نصر السراج الطوسى ، هو بحق ، اكبر المؤلفين الصوفيين واستاذهم جميعا بلا استثناء

اقتفى أثره الهجويرى فى كتابه — كشف المحجوب — وتتلمذ عليه ، أبو عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة القشيرية .

فمؤلف اللمع اذن ، قد انجبت مدرسته الأقلام الكبيرة التى حفظت لنا ، ورسمت أمامنا ، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب .

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضا ، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله.

فاصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ الحجة التى يلوذ بها ، ويهتدى بنورها ، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهة سبحانه ، وصعدوا بقلوبهم وبعزماتهم إلى الأفق الأعلى ، مع الملأ الأعلى ، لا يستنكفون عن عبادة ، ربهم ، ولا يفترون عن ذكره وحمده .

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وذوقهم علم ، وبساطهم أنس ، وخلقهم قرآن .

إنهم أمناء الله جل وعز فى أرضه ، وخزنة أسراره وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسى فى اللمع.

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية حمل اللواء فيها السراج ، والقشيرى ، والهجويرى ، والسلمى ، والكلاباذى.

المدرسة التى حاربت فى عنف وفى قسوة ، كل انحراف فلسفى ، أو شطح ذوقى ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامى .

يقول المستشرق — نيكلسون — : «ولهذا نجد أوائل المؤلفين فى التصوف يرددون الانذار والتحذير من الوقوع فى وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أى اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال » .

ولا جدال فى أن التصوف الإسلامى ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى

كما ابتليت المعارف الإسلامية كافة، بالدخلاء الأدعياء سلوكا وقولا.

ولهذا نجد أئمة التصوف، منذ القرن الثالث الهجرى، وهم يحذرون وينذرون، وكان إكبر المنذرين واسبقهم الإمام السراج الطوسى.

يقول السراج فى مقدمته لكتاب اللمع «... واعلم أن فى زمننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة وقد كثر أيضا المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها، والمجيبون عنها وعن مسائلها، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه، وكلاماً ألفه، وليس يستحسن منهم ذلك، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات، ونطقوا بهذه الحكم، إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا فى العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل».

وإذن فالخائضون فى علوم التصوف ومسائله، والمتشبهون الدخلاء المحجبون، قد كثروا فى الأفق الصوفى منذ القرون الأولى فى الإسلام.

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية:

إنهم علماء قاموا بشرط العلم، ثم عملو به، ثم تحققوا فى العمل، فجمعوا بذلك بين العلم، والحقيقة والعمل.

ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ، نماذج للجلال الخلقى والروحى، ونماذج للكمال التعبدى والإيمانى، ونماذج عالية سامقة، فى أفق العلم والمعرفة.

وكما يقول «ماسنيون»: —

إن رجال المعرفة الصوفية فى الإسلام، كانوا دائماً النماذج التى تقدم لنا الصورة الحية للمفكرين الكبار فى الإسلام.

ويقول شاعر الإسلام — محمد إقبال —: «إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طابعا من الجمال والكمال، والإنسانية العالية، والأخوة العالمية، لا تجده فى إسلام الفقهاء أو المتكلمين».

وكتاب «اللمع» هو الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الإسلامى، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توفرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية.

فهو اقدم مرجع صوفى إسلامى، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع

وأوثقها وأغزرها مادة ، وأنقاها جوهرا ولفظا .

ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام التى قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله .

وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطرق ذوق ، وإشعاع يرشد السالك ويعلم العلماء . أو كما يقول ـ نيكلسون ـ « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف فى كل حرف فيه ، غاية قصـــد إليها ، وحرص عليها .

وهى رسم المبادىء الصوفية النقية ، تلك المبادىء التى تعبر عن روح القرآن وجوهر السنة .

المبادىء الخلقية والإيمانية ، التى تتلمذت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه .

المبادىء التى تحيط بكل شىء فى الحياة ، فتطلق فيه النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الاحساس المقدس ، الاحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ومشاهدة ذوق ووجدان . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك :

المبادىء التى تتحقق فيها كلمات الله التى صورت الأمة الإسلامية بانها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج فى « اللمع » تلك المبادىء فاحسن تصويرها ، وأبدع رسمها ، وأشاع الروح والحياة فى أفقها ، مدعما لها بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والذوقية ، عمد إلى أدق وانبل ما فى كتابة :

عمد إلى بيان كامل ، وحصر شامل الأخطاء التى وقع فيها السالكون للطريق ، إما عن سوء نية ، أو عن حسن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه ، فهو عالم نفسانى ، وهو حكيم ربانى ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ورقائق الذوق ، فيكشف عن اخطاء العابدين كما يكشـــف عن عقد الذاكرين ، وتلبيسات المحبين ووسوسة الزاهدين ، وهى أخطر عقبات الطريق ومزالقه .

فيجلو لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامى ، كما جاء به القرآن ، وكما صوره خلق الرسول وهديه ، وكما عاشه رجاله واعلامه ، وهم الصفوة من خلق الله ، والخيرة من عباده وخزائن العلم والمعرفة ، علم الشريعة ، وذوق الحقيقة ، وفيض العطاء الربانى الذى تتلمذ عليه من اصطفى الله من عباده .

من سيرة مولانا الحسين

رضى الله عنه وعن ذويه

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة ورئيس مجلس إدارة مسجد الامام الحسين

زواج الامام على من السيدة فاطمة الزهراء :

فى السنة الثانية من الهجرة زوج حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء من مولانا على بن أبى طالب وكانت رضوان الله عليها أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه الطاهر وقال صلى الله عليه وسلم فى حفل الزواج لجلسائه من المهاجرين والأنصار « قد زوجت فاطمة من على بأمر الله » .

وفى ليلة الزفاف أدى صلى الله عليه وسلم فريضة العشاء ثم ذهب إلى دار مولانا على وفى يده قربة من الجلد تستعمل لسقى الماء ثم قرأ على القربة سورة المعوذتين ودعا بأدعية أخرى ثم أحضر اناءين فوضع فى أحدهما ماء أغمس فيه يده الشريفة وأمر مولانا على أن يتوضأ ويشرب منه ففعل ، ولما انتهى مس صلى الله عليه وسلم صدر صهره ومسح عليه بالماء وقال « اللهم بارك له فى نسله » ثم فعلت سيدتنا الزهراء كما فعل زوجها ، ولما انتهت مسح عليه الصلاة والسلام صدرها بالماء ثم قال « اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » وأخذ صلى الله عليه وسلم قليلا من الماء ونشره على رأسيهما ثم هم بالقيام قائلا لمولانا على « قم فادخل بأهلك » فلما رأته سيدتنا الزهراء يهم بالخروج بكت فقال لها « ذى بنيتى قد تركتك وديعة عند رجل إيمانه أقوى من إيمان أى إنسان آخر وعلمه أكثر من علم الجميع ، انه أفضل قومنا أخلاقا وأعلاهم نسبا » ..

شيء من فضائل الإمام علي :

أسلم الإمام علي وهو صبي في نحو العاشرة من عمره وكان منذ طفولته في كنف النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صلوات الله وسلامه عليه أراد أن يحمل بعض العبء عن عمه أبي طالب وكان كثير العيال فسأله أن يضم إليه ولده عليا فقبل فنشأ الإمام علي منذ الصبا في الرعاية النبوية العالية ويالها من سعادة مخبأة لإمامنا علي (كرم الله وجهه) كانت سببا في أن يكون أول الناس استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقف فدائي :

وقد كسب مولانا علي شرفا رفيعا حين طلب إليه حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرتدي لباسه وينام في فراشه ليوهم المتآمرين على قتله صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم في داره وفي فراشه والقصة بتفاصيلها معروفة ، وحق لمولانا الإمام علي أن يقول :

فديت بنفسي خـــير من وطىء الثرى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجـــر

صاحب اللواء :

وكان إمامنا علي رضي الله عنه يحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في معظم غزواته وقد برزت مواهبه الحربية في غزوة بدر حين بارز شيبة بن ربيعة وقتله وفي فتح خيبر حين سلمه الرسول صلى الله عليه وسلم اللواء بعد أن قال : « لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه » وقد فتح على يديه الحصن على المسلمين .

ولم يتخلف إمامنا علي عن غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم إلا غزوة تبوك فقد استخلفه فيها على أهله ولما أبدى الإمام علي رغبته في الخروج معه إلى الجهاد طيب خاطره وقال له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

فقه الامام :

وقد أجمع الصحابة والتابعون على أن الإمام على رضى الله عنه كان رأسا فى الفقه والفتوى والقضاء وكانوا يلجأون إليه فى حل المعضلات حتى أن مولانا عمر بن الخطاب كان يقول « لولا على لهلك عمر » .

وقال الحبر الجليل مولانا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وأيم الله لقد شاركم فى العشر العاشر .

وقالت سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها من « افتاكم بصوم عشوراء » ؟ قالوا « على » ، قالت : أما أنه لأعلم الناس بالسنة » .

وقال مولانا عبد الله بن مسعود : أعلم أهل المدينة بالفرائض (علم المواريث): على بن أبى طالب .

وليس بعجيب إذن أن يقول إمامنا على : سلونى قبل أن تفقدونى ، فو الله لا تسألونى عن شىء الا أخبرتكم ، وسلونى عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ؟ !

ويرحم الله إسماعيل بن محمد الحميرى إذ يقول فى إمامنا على :

سائل قريشا به إن كنت ذاعمه ... من كان اثبتها فى الدين أوتادا
من كان أقدم إسلاما وأكثرهم ... علما وأطهرهم أهلا وأولادا
من وحد الله إذ كانت مكذبة ... تدعو مع الله أوثانا وأندادا
من كان يقدم فى الهيجاء أن نكلوا ... عنها وإن يبخلوا فى أزمة جادا
ان يصدقوك فلن يعدو أبا حسن ... إن أنت لم تلق الأبرار حسادا

أولاد الامام على من السيدة الزهراء :

ولدت رضى الله عنها خمسة أولاد : ثلاثة صبيان وبنتين ، أما الصبيان فهم مولانا الحسن السبط رضى الله عنه ومولانا الإمام السبط الحسين رضى الله عنه أما الثالث فهو السيد المحسن وقد مات صغيرا قبل أمه رضى الله عنها — وأما البنتان

فهما سيدتنا زينب رضى الله عنها وقد سميت على اسم خالتها السيدة زينب الكبرى، وسيدتنا أم كلثوم وقد سميت باسم خالتها زوج أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

مولد مولانا الحسين رضى الله عنه :

ولد رضى الله عنه بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وقد حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن فى اذنه وتفل فى فمه ودعا له. وفى اليوم السابع لمولده ختنه وعق عنه كبشا وسماه « حسينا » ولم يكن له من قبل سميا . وقد جاء فى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه وتصدق بزنة شعره ذهبا . وقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة عن عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا فى الجاهلية .

كنيته وألقابه :

كنيته رضى الله عنه أبو عبد الله لا غير . أما ألقابه فهى الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله، وأشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به صلى الله عليه وسلم ، فى قوله عنه وعن أخيه أنهما: سيدا شباب أهل الجنة، وكذلك السبط فإنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حسين سبط من الأسباط.

ويرحم الله أمير الشعراء شوقى إذ يقول عنه :

هـــذا الزكى ابن الزكى الطيب ابن الطيب

نبذة من تاريخه :

أقام رضى الله عنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعا وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعا وأربعين سنة وعاش بعده إحدى عشر سنة وكانت سنه حين الوفاة ثمانيا وخمسين سنة . وقد كان رضى الله عنه هو وأخوه الحسن فى المدد الذى أرسله سيدنا عثمان بن عفان إلى عبد الله بن أبى السرح لفتح أفريقيا ، كما حضرا رضوان الله

عليهما غزوة طبرستان حين غزاها سعيد بن العاص والى الكوفة من قبل سيدنا عثمان وحضر مولانا الحسين أيضاً غزوة القسطنطينية الثانية فى عهد معاوية سنة ٥١ هجرية .

وقدخرج رضى الله عنه مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل، ثم صفين، ثم قتال الخوارج وبقى معه إلى أن قتل ، ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر لمعاوية فتحرك مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة ثم تلقى رسائل أهل العراق بأنهم بايعوه فأرسل إليهم مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم ودعا مولانا الحسين للقدوم إلى العراق فسار إليها كما سار البدر فى داج من الظلمات ووقع هناك ما قدره الله من استشهاده استشهادا لم يعرف تاريخ البشرية له مثيلا وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وانا لله وانا إليه راجعون .

ولا سبيل إلى الإفاضة فى قصة القتل المحزنة لأننا الآن فى فرح بذكرى مولده رضى الله عنه ولكن لابد من الاعتبار بهذه القصة العجيبة التى جعلها الله نعمة على قوم ونقمة على آخرين فهى نعمة على المؤمنين ونقمة على الفاسقين وهذه القصة برهنت على أن الأريحية باقية خالدة على مر الأيام وكر العشى لأنها من أمر الروح ، والروح لا تفنى وان فنى الجسد .

أما النفعية فإنها كنار الهشيم التى يتصاعد لهبها قليلا ثم لا تلبث أن تصير رمادا تذروه الرياح .

ولو كان للأريحية لسان ينطق لما اختارت فى التمثيل خيرا من الأبيات الآتية التى تمثل بها مولانا الحسين عليه السلام حين خوفوه بالموت ليحملوه على ما تكرهه نفسه الأبية من مبايعة يزيد الفاسق إذ قال مستشهدا :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالف مثبورا وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن قمت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وحق لابن نباته أن يقول فيه :

والحسين الذى رأى الموت فى العزة حياة والعيش فى الذل قتلا .

مظهر صادق لحب آل البيت :

إن محبة آل البيت ليست دعوى لسان بل هى فى حاجة للبرهان من اليد واللسان والجنان والذود عنهم بالمال والروح والولدان . أرأيتم إلى هؤلاء الشم الكرام الذين ذادوا عنه وجادوا بأرواحهم بين يديه ابتغاء رضوان الله وحفظا لمكانته من رسول الله .

وإن الالى بالطف من آل هاشم تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

أيها الأربعون الأكرمون . ما أسعدكم بموقفكم من سيد الشهداء حين بذلتم بين يديه الأرواح انتصارا للحق وإرضاء لله ولرسوله .

وكأنى الآن بسيدى حبيب بين مظاهر زعيمكم حين وقف على منبر من أسرجة الخيل وهو يخطبكم قائلا :

ياخيرة من لبوا الحق ان القوم لا يتركوننا حتى يحاربونا صباح غد فإذا ما أشرقت شمس الصباح ونادى مناديهم إلى النزال ماذا ترون هل يتقدم الهاشميون أو تتقدمون .

فأجابه كريم منكم .

ياحبيب ماطلقنا الدنيا وما تركنا حلائلنا وما فارقنا أهلينا إلا لنصرة الحسين .

وغدا ما سيكون جوابنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال لنا لقد قتل الحسين وأخوته وأنتم تنظرون .

أما والله لانترك أحدا من بنى هاشم يبارز القوم حتى يكون آخرنا جثة هامدة تتلاعب فوقها الرماح .

ويا مولانا الحسين . . ما أوفاك وأرحمك بصحبك وأنت تقول لحبيب حين كاشفك بأنه هو وأصحابه بيتوا العزم على أنهم لا يحبون أن يشاهدوا أحدا من الهاشميين ينازلهم حتى يفنوا عن آخرهم !

أى والله ماأوفاك وأرحمك إذ تقول له ردا على ذلك :

يا حبيب إن القوم لا يريدون غيرى ها هو الليل فاتخذوا من ظلامه دليلا وارجعوا إلى أهليكم قبل أن يسفر الصباح فو الله كأنى بالقوم غير تاركيكم حتى يقتلوكم جميعاً فماذا ترون .

وحياك الله يا حبيب « اسما ومعنى » إذ تجيب مولانا الحسين بلغة الحب

والوفاء وماذا نقول لرسول الله يوم الحساب ؟ ذلك يا ابن بنت رسول الله لا يكون ونحن ما جئناك لنطلب فرارا أشبه بفرار العبيد ولكنا جئناك لنطلب شرف أولية الشهادة .

حيا الله أرواحكم أيها الشهداء الأمجاد وجوزيتم عن الإسلام والمسلمين خيرا كثيرا .

* * *

مكانته رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى عبد الله بن شداد عن أبيه رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا وحسينا فتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فأطال سجدة الصلاة فرفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودى فلما قضى الصلاة قيل يارسول الله أنك سجدت بين ظهرى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال كل ذلك لم يكن ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته — أخرجه النسائى .

وعن زيد بن أبى زياد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع صلى الله عليه وسلم حسينا يبكى فقال ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى .

وعن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسين ابن على على عاتقه وهو يقول اللهم إننى أحبه فأحبه .

وروى البخارى عن أبى هريرة أن الحسن والحسين كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمسيا فقال لهما اذهبا إلى أمكما قال فهابا أن يذهبا فبرقت برقة فمشيا فى ضوئها حتى أتيا أمهما .

وروى ابن ماجة فى السنن عن يعلى بن مرة العامرى أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام دعوا له فإذا حسين فى السكة مع غلمان يلعب فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فوضع احدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه وقبله وقال حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط .

فما أهنأ جمعنا بحب مولانا الحسين رضى الله عنه . [البحث مستمر

حياة العارفين

فى عـالم الـبرزخ

روى حجة الإسـلام الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين فى حديثه عن المحبة الإلهية صوراً رائعة عن حياة العارفين فى عالم البرزخ وترقيهم وعباداتهم . . وهى صور تفتح آفاقا من الفكر والبحث فى حاجة إلى أقلام مؤمنة عارفة تجول فى أرجائها وتتحدث عن إلهاماتها .

وقد بدأ الإمام الغزالى بحثه هذا بشرح قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » .

ويقول الإمام الغزالى : « ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد » .

ثم يعرض الغزالى مشاهداً منها قوله : « . . ورأى بعض الشيوخ بشر ابن الحارث فى القوم فقال : ما فعل أبو نصر التمار ، وعبد الوهاب الوراق فقال : تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان . قلت فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب فأعطانى النظر إليه » .

وعن على بن الموفق قال : رأيت فى النوم أنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ، ورأيت رجلا قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه الناس ، فيدخل بعضاً ويرد بعضها ، قال . ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف ، فقلت لرضوان : من هذا ؟ فقال معروف الكرخى ، عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حباً له ، فأباحه النظر إليه يوم القيامة ، وذكر أن الآخرين ، بشر بن الحارث ، وأحمد بن حنبل .

اخترنا لك :

الوطن الأفريقى
لمن هو . . ؟

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

موضوعان يشغلان اليوم مكان الصدارة عند قراء الكتاب والقصة فى اللغة الإنجليزية :

أحدهما موضوع الكلام على الكواكب السيارة والأطباق الطائرة والسفن التى تهبط من الفلك الأعلى ، والسفن التى ينتظر أن ترتفع إليه .

والموضوع الآخر هو موضوع الكلام على القارة الأفريقية ، بكل ما يشتمل عليه من مباحث جغرافية وتاريخية واجتماعية ، ومنها ما يتراجع إلى ما قبل التاريخ ويحسب القارة مهد النوع الإنسانى كله ، أو مهداً من أقدم المهود .

وإنها لمفارقة من مفارقات الزمن أن يقترن الكلام على الكواكب السماوية بالكلام على القارة التى كانت إلى زمن قريب تسمى بالقارة المظلمة أو القارة السوداء . .

وعلى حسب العادة فى الإقبال على موضوعات القراءة : يبدأ الطلب بالأصول ثم يتشعب حتى ينتهى إلى الفروع ويستقصى الفروع إلى أصغر التفصيلات . فانحصرت الدفعة الأولى من المؤلفات فى المعضلات الكبرى والمباحث العلمية العويصة ، ثم تشعبت وتفرعت حتى وصلنا فى الأشهر الأخيرة إلى المطبخ الأفريقى والصنف المختار عند بعض القبائل البادية والمتحضرة ، وأصبحت السيدة الأوربية تفاخر بقدرتها على «تحضير» هذا الصنف وتقديمه على مائدتها ، وتتكلم أو تكتب لترضى فضول القراء فى أمر من الأمور يتعلق بالقارة الأفريقية بسبب من الأسباب .

وتشعبت الموضوعات الجدية كما تشعب غيرها فأصبحت الشخصية الأفريقية الواحدة مستحقة فى رأى المؤلف والقارىء أن يوضع لها كتاب مستقل ، وليس من الضرورى أن تكون هذه « الشخصية » شخصية زعيم مناضل كزعيم الماوماو فى كينيا أو الكباكا المتمرد فى أوغندة ، بل يكفى أن تكون للشخصية سمات أفريقية ليتفرغ الكاتب أو الكاتبة لتأليف المطولات عنها ، فظهر فى الآونة الأخيرة ، كتاب فى ثلثمائة صفحة عن « بابا القارية » إحدى نساء الرؤساء من قبائل النيجر ، وانقطعت السيدة مارى سميث — مؤلفة الكتاب — عدة أشهر فى الرحلة والمقابلة وجمع المعلومات وتوجيه الأسئلة ، ثم انقطعت لتدوينه أشهراً أخرى حتى صدر من المطبعة فى أحسن قالب وبالثمن الذى تباع به سير العظماء المشهورين التى يتهافت عليها القراء .

ولا نظن أن هذا الاهتمام يرجع إلى مجرد الرغبة فى الاطلاع ، بل نعتقد أنه يرجع الى رغبة أخرى غير نادرة بين الأوربيين وبين الإنجليز على الخصوص ، وهى رغبة التوطن فى القارة الأفريقية والانتقال من أوروبا ومتاعبها الى بلاد جديدة يقيمون فيها ويعمرونها تعمير من لا ينوى التحول عنها ، الا أن تكون زيارة أو مراجعة فى أعمال التعمير .

انهم يريدون القارة الأفريقية وطنا دائماً للإقامة المستديمة ، وهذه هى مشكلة « الوطن الأفريقى » بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم تكن كذلك حتى أواسط القرن العشرين .

ان المؤلفات التى تتابعت من المطبعة فى الزمن الأخير تكشف عن هذه النية وتضع المشكلة صريحة فى هذا الوضع الجديد .

والمشكلة هى : لمن يكون هذا الوطن الأفريقى بعد هذا النزاع ؟

ان سكان أفريقية ثلاث طوائف أولها بطبيعة الحال أبناء أفريقية الأصلاء الذين ولدوا فيها وولد فيها من قبلهم آباؤهم وأسلافهم الى أزمنة لا يعيها التاريخ .

والطائفة الثانية هم المهاجرون من القارة الآسيوية ، وأكثرهم من العرب والهنود وأبناء الجزر الملاوية .

والطائفة الثالثة هؤلاء الأوربيون

المستعمرون ، سواء كانوا من أبناء الدول ذوات المستعمرات أو كانوا من الدول التى لا تملك المستعمرات خارج بلادها ، وهم قليلون لا يزيد عددهم على المئات ، وليس لهم حساب خاص فى هذا المجال .

أما أبناء القارة الأصلاء ، فلا خلاف فى مصيرهم ولا طاقة لأحد بإخراجهم من أوطانهم أو انكار نسبتهم اليها .

وأما المهاجرون من القارة الآسيوية فليست لهم مشكلة قائمة فى الوقت الحاضر ، وان نشأت لهم مشكلة فهى من المشكلات التى تنسى مع الزمن حتى تزول ، لأنهم يصبحون أفريقيين ويتساوى أبناؤهم وأبناء الأفريقيين غدا فى كل شىء ، وقد يتزاوجون ويتناسلون ويتفاهمون بلغة واحده ، كما حدث فى القرون الأخيره ، فكل من فى السواحل اليوم أفريقى حديث وآسيوى قديم .

وقد روى صاحب كتاب « الغاشية الأفريقية » حديثاً من أحاديث المجالس التى تجمع بين الآسيويين والأوربيين فى أفريقية الشرقية ، فقال أحدهم — وهو هندى مسلم محام يسمى أحمد : « ماذا نعنى بمصالحنا ؟ انها مصالح أفريقية الشرقية بلا جدال ، وهذه الجالية الآسيوية لها جذور هنا كأمتن ما تكون جذور الأوربيين بل الأفريقيين ، وقد كان آباء بعضنا فى طليعة المهاجرين ، وليس بين المقيمين هنا من أقدم الأسر من ينظر الى كينيا أية نظرة غير النظرة التى تعتبرها وطنه ومستقره . . لم تبق لنا جذور فى الهند ، وقد أزورها فى قضية من القضايا فتخفى على بعض لهجاتها » .

فالمهاجرون الذين ينظرون إلى أفريقية هذه النظرة لن تصادفهم فيها مشكلة الوطن ومستقبله ، فمن لم يقم فى هذا الوطن أفريقياً فليس فى وسعه أن يقيم فيها سيداً يلحقها ببلاده ويخضعها لسطوته ويستقر فيها يعامل أهلها الأصلاء معاملة الغرباء .

أما المشكلة التى لا حل لها بالحسنى فهى مشكلة الأوربى الذى يتخذ من أفريقية مقراً للسكن ويبسط سيادته على أهلها بغير أمل فى انتهاء هذه السيادة ، إلا أن يظل الأفريقيون عبيداً مسخرين أو يثوروا عليه فيطردوه بلا هوادة ولا مسالمة .

إن الأوربيين يضعون المسألة هذا الوضع بغير مواربة ولا مغالطة ، لأنها فى الحقيقة مسألة واضحة لا تقبل المغالطة ، وقد لخصتها إحدى الموسوعات الصغيرة فقالت : « إنه لغنى عن القول أن هذه المسألة من المسائل العسيرة التى لا تحل بتكرير الكلام على المساواة بين الأجناس وأنه لا وجود للعنصر الممتاز أو للقومية الممتازة ، والمعضلة التى تواجهها بلاد كأفريقية الجنوبية لا يمكن تبسيطها وتجريدها من صعوباتها على طرفيها ، فليس أمام هذه البلاد غير طريقة من طريقتين : إما قمع السود وإخضاعهم على الدوام ، والنتيجة آخر الأمر هى الثورة الدموية ، وإما تخويل السود حقوق المساواة البرلمانية ، فالنتيجة إذن هى نزول البيض عن سلطانهم وتسليمه إلى السود لرجحانهم الكبير فى عدد الأصوات ، وعلى سبيل الإنصاف للقلة البيضاء نقول اننا لا نعلم فى التاريخ طائفة نزلت باختيارها عن سيادتها ، وأن المعضلة أعضل بكثير مما يتخيلها أكثر الناس » .

هكذا يلخصون معضلة السود والبيض فى القارة الأفريقية ، وينسون أنهم قد نطقوا فيها بحكم التاريخ الفاصل وسنة الطبيعة القاهرة ، لأنهم يطلبون المستحيل حين يطلبون النقيضين ، ولا مهرب من الخيبة عاجلا أو آجلا لمن يتعلق بحبال المستحيل .

ومهما بلغ من سلطان البيض فى أفريقية فهو أضعف من الغاية التى يطمحون إليها والنية التى يبيتونها ، وقد بيتوا النية على تسخير مئات الملايين بغير أمل فى الخلاص القريب أو البعيد ، وهى أمنية لا يعارضها مئات الملايين وحدهم ، بل تعارضها الطبيعة معهم ، وقد يتخاذل دونها سلطان البيض يوماً من الأيام ، فلا ينقاد لهم ولا تجتمع كلمتهم عليه فى موقف الحسم حيث يحتاجون إليه .

لن تصبح أفريقية « وطنا » للمستعمرين إلا بوسيلة واحده ، وهى أن يصبح المستعمرون أفريقيين كسائر الأفريقيين ، وأن يجىء اليوم الذى يقفون فيه مناضلين عن أفريقية فى وجه المغير الأوربى ، كما فعل « الأمريكى » فى وجه بريطانيا ووجه

أسبانيا ، وقد كان أجداده قديماً من البربطان والأسبان .

إلا أن الطمع يسول للمستعمر أن يقلب الأوضاع وأن يبلغ بذلك مالا تبلغه الأطماع ، فهو لا يصبح « أفريقياً » اذا نوى الإقامة فى البلاد الأفريقية ، بل يخلع الأفريقى من وطنه ويقتلعه من جذوره ويقول : انك قد أصبحت معى فى عداد الأوربيين ، ويخيل اليه أنه قد خدعه فانخدع واستنام .

كذلك فعل المستعمر الفرنسى فى بلاد الجزائر ، وكذلك يعلمون الطفل الأفريقى أنه ابن فرنسا وأن فرنسا أمه الحنون . وكذلك يغصبون لسانه ووجدانه ويسومونه أن يكذب عينيه وأذنيه وأن يصدق منهم الكذب الذى يعلمونه ويعلمون أنهم أول مكذبيه ، وقديماً طمع « أشعب » فى مثل هذا المطمع ، فأعياه المخرج والمطلع ، وسيعيى بعده كل « أشعب » جديد .

فليس فى الجزائر اليوم طفل يعرف التصديق والتكذيب يصدق أن فرنسا أمه وأن الفرنسية لسانه وأنه مساو للفرنسى فيما يريد الفرنسى أن يمتاز به عليه .

سينتهى أمر الجزائر الى الانفصال عن أمها المدعاة لا محالة ولا خلاف.. فإن يكن هناك خلاف فيما سيحدث فهو الخلاف فى رحلة الفرنسيين عنها أو فى بقائهم بها جزائريين كسائر الجزائريين ، ويومئذ لا يطمعون من الجزائرى أن ينتمى الى « أمه » فرنسا . . بل يحمدون الله أن قالوا له انهم أبناء الجزائر فقبل منهم هذا المقال . .

وكذلك سيكون الوطن الأفريقى فى القارة كلها : وطنا أفريقياً للأفريقيين ولا خيرة للسلطان الذى يعتز به المستعمرون اليوم فى هذا المصير . . انما الخيرة لهم يومئذ أن يرحلوا من القارة أو ينتسبوا اليها . . أفريقيين كسائر الأفريقيين . . .

تحضير الأرواح

ورأى الدين فيه

الأستاذ محمود شلبي

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله . . . »
(قرآن كريم)

مسألة الروح لغز قديم قدم الإنسان ، بل لانغالى إذا قلنا انه قديم إلى ماقبل الإنسان .

وهى شيء استعصى على البشر، لأنه فوق تفكير البشر ، ولايعلمه إلا خالق البشر .

وما من شيء أثار انتباه الإنسان مثل الروح ، ما هى ، كيف هى ، من أين وإلى أين ، ماحجمها ، ماطولها ، ما عرضها ، هل هى جوهر أم عرض هل هى مرئية أم لا مرئية ؟ .

أسئلة كثيرة يسألها الناس من يوم أبيهم آدم حتى تقوم الساعة . ولن يجدوا عنها جوابا تهدأ إليه نفوسهم ، أو ترتاح له قلوبهم .

ذلك أن الروح هى سر هذه الحياة ، والذى يعلم السر فى السماوات والأرض هو الله وحده .

ولقد أتى على الإنسان حين من الدهر ، وهو يلجأ فى تصور الروح إلى أوهامه ، ويصنع من تلك الأوهام عقائد يعتقدها ، ويعلن على العالم أنها حقائق .

وما كان الله ليذر الناس على ماهم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب من أقوالهم .

فنزلت الشرائع تبين أن الروح شيء من أمر الله ، وأن الناس لايعلمون من أمرها شيئا .

قال تعالى « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

وفصل الإسلام بذلك فى أكبر مشكل أمام العالم ، قل للعالم أجمع يامحمد « الروح من أمر ربى وليس فى الأمكان معرفتها فى هذه الحياة الدنيا ، لأن علم الانسان قليل ، ومداركه محدودة لا تسمح له بالالمام بحقيقة الروح .

إلا أن الإنسان المطبوع على حب المعرفة ، لم يكن يقنع بذلك ، ويقف أمام تلك الحقيقة التى هى كيانه كله فذهب ينقر ويبحث ويدعى الدعاوى العريضة فى شأن الروح .

إلا أن هذه الأوهام كانت تتلاشى فى آفاق العالم الإسلامى التى يهيمن عليها توجيه الإسلام فى شئون العقائد .

حتى كانت الأيام الأخيرة ، فانتشرت تلك الأوهام فى أنحاء الغرب المادى تحت عنوان جديد هو « الروحية الحديثة » .

وزعموا مزاعم تنبنى على الوهم أكثر مما تنبنى على الحقائق والتجارب « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » .

وامتدت موجه « الروحية الحديثة » إلى بلاد الشرق الإسلامى واستهوت قوما قليلى العلم بدينهم ، فخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى وانطلق المخدوعون يبشرون بها ، على أنها الدين الجديد الحى الغض ، لأن الأديان فقدت حرارتها وقدرتها على امداد القلوب بالغذاء الروحى !! .

ووجدت الدعوة لها بين الشرقيين أنصارا . وتكونت الجمعيات ، وأسست الدور ، وصدرت المجلات .

وإزداد المخدوعون خداعا وازدادت الفتنة انتشارا .

وكان من أشد الناس إيمانا بالروحية الحديثة رجل يدعى « حسن عبد الوهاب » ، انغمس فيها إلى آذانه وراح يبشر بها ، ويلتمس الدلائل من نصوص الشريعة الإسلامية . ففرح بذلك أنصار الروحية وآمنوا به إيمانا كبيرا .

وكان الرجل يظن أنها شىء يقربه إلى الله ، ويفتح له باب السعادة فى آخرته ودنياه ، فأقبل عليها أقبال الداعى إلى دعوته يضحى بكل شىء فى سبيل نصرتها .

إلا أن الرجل عندما بدأ يسير فيها أشواطا ، آنس فيها ضلالا وتخبيطا . فقال فى نفسه لعله شىء من تحليط الوسطاء ، أو تدليس السفهاء ، ما الدعوة نفسها فهى أسمى من ذلك ، وأبعد عن المهالك .

ومضى الرجل فيها إلى آخرها ، فصدمته الحقيقة المرة ، وتأكد له أنها شىء خبيث .

تأكد له أن الروحية الحديثة « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وتأكد له أنها دعوى ظاهرها الرحمة وباطنها العذات ، وأنها تدعو فى ظاهرها إلى الحب والإخاء وفى باطنها تريد أن تخرج الناس من دينهم ، وتنزع منهم عقيدتهم وهى أعز شىء فى قلوبهم وكيانهم .

فلما تبين له الحق من أمرها . . . أعلنها عالية . . توبة إلى الله .

ودوى صوته فى الآفاق ، بنفس القوة التى كان يمضى بها فى الروحية الحديثة .

فاهتزت لتوبته الروحية اهتزازا عنيفاً .

وقال قائل منهم : مجنون و أنا زعيم بعلاجه ! .

إلا أن الرجل لم يبالى بأقوالهم ، وذهب يبين زيفها ، ويكشف غموضها ويفضح أساليبها ، فى كتابه «يسألونك عن الروح » .

فهذا الكتاب كتاب له رسالة ، وليس تأليفا لمجرد التأليف .

هو قصة « الروحية الحديثة » يقصها رجل عاش فيها وآمن بها وتعصب لها ثم انكشف له أمرها ، فرأى لزاما عليه أن يبين للناس حقيقتها حتى لا ينخدع بها غيره .

يبدء الكتاب ببيان بدء ظهور الروحية الحديثة ، وكيف أنها بدأت فى الغرب المادى ثم يعلق المؤلف فيقول « ونحن الشرقيين لا نلوم الغرب على هذا التسليم منه بصحة الظواهر الروحية وعزوها إلى أرواح الموتى ، فقد قلنا : إن النزعة المادية كانت قد طغت عليه طغيانا جعله يعزو بكل غيب ، فطرح الدين جانبا ، ولكنه ما إن رأى أن هناك ظواهر قد تمت فعلا ، حتى انهارت مقاومته ، وبدء يؤمن بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى ، وأن الموتى قد عادوا من وراء القبر ليتصلوا بذويهم ... »

ثم يتحدث عن الروحية الحديثة - كما يبشر بها دعاتها بالتفصيل كى يكون القارىء على علم تام بدعوتهم وليسهل عليه تمييز الحق من الباطل .

فيتكلم عن الجسم الأثيرى ، ثم عن الطرح الروحى المؤقت ، ثم عن الطرح الدائم أو الموت ، ثم عن الاتصال بعالم الروح ، ثم عن الاكتوبلازم .

ثم يدلف الرجل إلى أنواع الظواهر الروحية فيحدثنا عن الجلاء السمعى والبصرى ، وعن الغيبوبة ، والمجلوبات الروحية ، والصوت المباشر والكتابة الروحيـــة ، والكتابة التلقائية ، والفوتوغرافيا الروحية ، والتصوير الروحى .

ثم يدخل الرجل إلى موضوع هو

أشد الظواهر الروحية فتنة لأتباعها ، وذلك هو التجسد .

وقد أفاض فى الموضوع حتى بينه بحذافيره ، مما لم يدع مجالا للسائلين أو المستفسرين .

وبعد ذلك كله ينتقل بك الرجل إلى العلاج الروحى ، فالتراسل الفكرى فالهالة .

ثم يأخذ بك إلى مشاهير الوسطاء فى الروحية الحديثة أمثال « هوم » و « فلورنى كوك » و « أيوسابيا بلادينو » و « مسز هوب » و « جورج تشايمان » .. الخ .

وما أن تنتهى من ذلك كله حتى تدخل معه بابا شيقا هو « البرزخ أو عالم الروح » ثم الحياة فى عالم الروح ثم العذاب أو النعيم فى عالم الروح .

ويقف بك المؤلف مع أشق الأمور على نفسك وهو الموت ، ويقظة الموت ، ورأى الروحيين فى عملية الموت .

إلا أن الرجل يبدو شاهقا محلقا عندما يكتب عن « سلفربرش » عظيم الروحية وملهمها الأعظم . حين يكشف عن حقيقته فإذا به شيطان مريد ، يدس السم فى صحاف من ذهب ورقائق من عسل . ويسوق أقواله ثم يكر عليها مفندا أو مبددا . فما تخرج من الفصل إلا وأنت تستعيذ بالله من شر سلفربرش وأقواله .

ولعل هذا الفصل هو من أشد الفصول وقعا على نفوس أتباع الروحية ودعاتها فإنهم لا يطيقون أن يناقش أحد أقوال سلفربرش ولا دعاواه .

ويشبع المؤلف غرائز الاستطلاع عند الناس فيخصص فصلا لوسائل تحضير الأرواح ، ويعدد طرقها ، ويبين أدواتها .

ثم يتكلم عن الجن وطبقاته ، ويصف وصفا تفصيليا سلسلة لتحضير الجن ، ويروى ما رآه ، وما عاينه فيها بنفسه .

ثم يختم بفصل عن السحر والعين والحسد .

وحتى هنا يتم موضوع الكتاب ، إلا أن الفائدة تزداد عندما تقرء فصولا فى نهايته عن موقف الإسلام من الموضوع .

إلا أننى أمسك عن الكلام عنها ، لأنها من تحبير صاحب المقال . وأدعها للناقدين ليقولوا فيها قولهم ؟ .

الطريق المضيء إلى الله

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعي

الناس فى معرفة الحق والإيمان ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : عامة يؤمنون بالله تعالى إيماناً تقليدياً ، إذ أنهم نشئوا فسمعوا من أهليهم وعشيرتهم أن لهذا الكون إله ، وأنه أرسل رسلا مبشرين ومنذرين ، فآمنوا إيماناً مجردا عن أى دليل بكل ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكلفوا أنفسهم البحث ولا النظر فيما يكون دليلا على صدق هذه الدعوى ولاشك أن فى إقرارهم بوحدانية الحق وإيمانهم بالرسول وما جاء به من تشريع نجاة لهم يوم القيامة إن شاء الله تعالى . وقسم آخر وهم : الخاصة أهل النظر : شاركوا أهل القسم الأول فى الإيمان بالله بداية ، إلا أنهم أرادوا إقامة دليل على صدق هذه الدعوى ، ليزدادوا فى ذلك الإيمان يقيناً ، وفى معرفة ربهم علما . وقد رسم لهم الحق تبارك وتعالى لذلك طريقا ، هو طريق النظر فى الآيات الكونية لينصاعوا بقلوبهم إلى معانيها الدالة على حكمة الحق فى خلقه وما قام بذاته فى شئون ، فيزدادوا ايقاناً وعلما . قال تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وقال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . وقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . فالآيات الكونية كلها أدلة ناطقة على ما اتصف به الحق وما جاء به الرسول من عنده وذلك لأننا إذا نظرنا فى هذه الحضرة الكونية تبين لنا أن بها وجوداً ، وأن بها حياة ، وأن بها خلقا ،

وأن بها رزقا ، وأن بها موتاً ، وأن بها حياة ، وأن بها هداية ، وأن بها ضلالاً وهكذا . ولا شك أن فاقد الشيء لا يعطيه ، وهي ليس لها من ذاتها وجود ، إذ أنها ممكنات لابد لها من موجد لكي يهبها الوجود ، فلو لم يكن الحق تبارك وتعالى موجوداً بل موجد لما أفاض الوجود ، ولو لم يكن حياً لما أفاض الحياة ، ولو لم يكن خلاقا لما كان الخلق ، ولو لم يكن رازقا لما أفاض الرزق وهكذا . فالكائنات آثار الأسماء والصفات ، والمحال في الكون هو ما ليس له في ذات ربك حقيقة . إلا أننا إذا نظرنا بعد ذلك إلى ما يتولد في الإدراك من العلم بهذه الآيات رأينا أنها لا يمكن أن تفيدنا العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر الواقع وذلك لوجود الوجه الأول هو أن الناظر فيها انما ينظر بقوته الفكرية الجزئية ، والحقائق كليات لا تتناهى ، وادخال مالا يتناهى تحت ما يتناهى أمر محال . فالجزئي لا يمكن أن يدرك الا جزئي مثله . الوجه الثاني هو أن الأحكام النظرية تابعة للمدارك ، والمدارك تابعة للعقائد والعوائد ، وهي تابعة للاستعدادات والاستعدادات مختلفة ، ومن هنا كان لابد من اختلاف الأفراد في الحكم على أمر واحد ، اذ أن كل انسان انما حكم على الشيء باستعداده هو وادراكه ، ولم يدرك حقيقة الأمر على ما هي عليه في نفس الأمر الواقع . الوجه الثالث : هو أننا نرى أن الفرد يحكم بحكمه على الشيء ثم يأتي هو بعد ذلك أو غيره بحكم آخر مع العجز التام عن الدليل المبطل للحكم الأول ، واذا تطرق الاحتمال الى كل دليل ومتى تطرق الى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال ، ومن هذه الأدلة وغيرها كلمة أهل البصيرة أن لا علم للبرء بمعرفة الحقائق عن طريق الفكر أصلا ، فتعين على أهل البصائر الراغبين في معرفة الحق ، وهم أهل القسم الثالث أن يسلكوا طريق الحق طالما أن الطريق الأول لا يخلو من شوائب وعلل ، وذلك الطريق هو الأخذ بمراسم الشرع الشريف مع الإقبال على الله تعالى بكنه الهمة وتفريغ القلب من السوى ، حتى ينقدح نور الحق فيه فتنكشف لهم الأشياء بنوره لابهم من حيث هم . والى ذلك يشير قول الرسول الأعظم صلوات الله عليه « ان لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها » والتعرض : هو التهيؤ لقبول الفعل ، ولا يمكن أن يتهيأ الاستعداد في الإنسان لقبول هذا الفيض الإلهي

الا بسلوك ما رسم له ربه فى الحديث القدسى ، وما روى فى الصحيحين (ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء ما افترضته عليه وما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، متى أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وفى هذا المقام الشريف يرى العبد أن ما كان مضافا اليه من قبل فى حال حجابه بوقوفه مع نفسه من سمع وبصر وادراك انما هو للحق من حيث تنزله وظهوره ، وليس له عوض حيث ذاته ، وهنا يعلم الأشياء على ما هى عليه فى نفس الأمر الواقع علماً وشهوداً بربه لا بنفسه . وبمقدار فنائه فى المقام وتحققه به يكون علمه وكشفه . وسلامة فعله من الزلل ، اذ أنه يعلم بالله ، ويسمع بالله ، ويبصر بالله ، وينطق به وهكذا . وظهور هذا التجلى فيه على حسب استعداده ، وبقدر الفناء يكون التمكن ولا يمكن لعبد أن يحيط بما أحاط به الحق علماً ، ذلك لأن العبد عبد فى كل مقام والرب رب فى كل مقام . وعلامة التمكن فى هذا المقام أن تجرى أفعال العبد فيه على سنن الرشاد والهدى المحمدى الكامل ، حتى ولو لم يكن يعلم حكم الله فيما فعل . وإلى ذلك ينشد قول العارف المحمدى الكامل :

وبعد الفنا فى الله كن كيفما تشاء فعلمك لاجهل وفعلك لا وزر

أما العلم . فلا جهل فيه ، لأنه علم بحقائق الأشياء على ما هى عليه ، أفاده إياه نور الحق فيه .

وأما الفعل . فلا يمكن أن يصدر عنه أو منه إلا على مقتضى الحكمة الإلهية المتضمنة لأحكام شرع الله ودينه . وتوفر الاستعداد فى العارف لقبول هذا الفيض وتنزل المعارف الإلهية من الحق بالتجلى ، يطلق عليها تيسير المعارف للعارف . وذلك التيسير هو المعنى المراد عند أهل الله تعالى بالإذن لذلك نرى أن العارف المتمكن فى مقامه تبدو عبارته بحكم وارد الحال فيه ، واستعداد الطالب عبارة مبينة واضحة فى فهم السامع وإن علت . وذلك لما يصحبها فى نور البيان الإلهى (ثم ان علينا بيانه) ولا عجب ؛ فإن كتاب الله يتضمن لكل حقيقة ، حتى قال فيه صلوات الله عليه إن له ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً — ولكن وما يعقلها إلا العالمون وكذلك الحال منه فى إشاراته ، وما ذلك إلا لحصول الإذن بالتمكن

فى الحقائق وإيرادها . قال تعالى منعما على نبيه عيسى عليـــه وعلى نبينا السلام (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذأيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى) وما كان الإذن إلا تمكنه من إيراد الفعل ومرد الأمر كله إلى الله ــ له الحكم وإليه ترجعون والله أعلم.

قاموس التصوف

(١)

كتب إلينا كثير من القراء يطالبوننا بشرح المصطلحات الصوفية التى ترد كثيراً فى كتب التصوف ، والتى لا يتيسر فهم التصوف إلا بفهم مدلولاتها .

وسنوالى إن شاء نشر هذه المصطلحات ومعانيها تباعا فى المجلة . حتى نضع بين يدى قراء — مجلة الإسلام والتصوف — قاموسا صوفيا علميا ، يفتح أمامهم آفاق التصوف وعلومه .

اللفظ	المعنى
١ — الحال	معنى يرد على القلب بلا تصنع ولا اكتساب
٢ — المقام	عبارة عن حال دام .. فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب
٣ — القبض والبسط	حالان يردان فى الطريق للسالك المتوسط ، والقبض يورث خشية وأدبا ، والبسط فرح القلب بالتوجه إلى الله تعالى
٤ — السر	لطيفة مودعة فى القلب كالروح فى البدن
٥ — الواحدية	الذات العلية ، بدون شىء من الصفات الزائدة عليها
٦ — الفناء	هو استغراق العبد فى الله سبحانه ، حتى لا يشهد شيئا سوى ذاته تعالى ، ويقال لصاحبه غريق فى بحار الأحدية
٧ — الجمع	شهود الأشياء بالله ، والتبرى من الحول والقوة
٨ — الهيبة والأنس	حالان أرقى من القبض والبسط
٩ — الملكوت	عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المجردة الرتبة

المعنى	اللفظ
عبارة عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات ، وموارد الواردات	١٠ — الشرب والرى
الرجوع بعد الفناء إلى ثبوت الآثار ، بشهود ذوات وصفات المؤثر فيها ، ويقال لصاحبه غريق فى بحار عين الوحدة	١١ — البقاء
احتجاب السالك بالخلق عن الحق ، وهو حال عامة السالكين قبل الوصول	١٢ — الفرق الأول
حجاب بأحداهما عن الأخرى ، وهو للكاملين ، ويقال له الفرق بعد الجمع ، والصحو بعد المحو ، والبقاء بعد الفناء ، والصحو الثانى	١٣ — الفرق الثانى
إزالة الأغيار عن القلب والسر	١٤ — التجريد
هو العلم الحاصل بالمشاهدة	١٥ — علم اليقين
هو فناء صفات العبد فى صفات الحق وبقاؤه علما وحالا	١٦ — حق اليقين
تجريد القلب لله ، والأعراض عن كل ما سواه	١٧ — التصوف
رؤية الحق فى كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عما لا يليق به	١٨ — المشاهدة
هو ما ينكشف للقلب من صفاته تعالى واسمائه كما إذا تجلى الله على عبد بصفة السمع مثلا صار يسمع نطق الجمادات وغيرها	١٩ — التجلى الأسمائى
هو مقام الإنسان فى مقام الإحسان . أن ترى الله فى أعمالك أو تعلم أنه يراك فى حركاتك	٢٠ — المراقبة

مدرسة الصوفية
التى يحتاجها المسلمون اليوم

للاستاذ أنور الجندى

ما أحوجنا نحن الذين نكافح فى سبيل بناء الوطن الإسلامى الكبير إلى صوفية عمر وعلى والحسن البصرى والحسين. ما أحوجنا إلى النفوس قد بلغت غاية السمو والكرامة والعزة حتى نستطيع أن نواصل الكفاح بقوة وعزيمة ماضية. نفوس قد فطمت عن الشهوات وترفعت عن الصغائر. وشامت على النزوات فحفظت كيانها الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا.

ولا تستطيع أى مدرسة فكرة أن تعطينا هذه القوة إلا مدرسة الصوفية. وقد أثبتت المدارس الفكرية الأخرى التى تقوم على المجاملة والمرونة واللباقة أنها لا تصلح أبدا لامة فى فترة كفاحها فى سبيل الحرية وبناء وطن كبير، ان هذه المدارس تخلق رجل الصالون الأنيق المجامل الذى لايستطيع أن يجهر بكلمة الحق. وهو فى العاده رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية فهو يجامل ويتملق ويسمع ما يكره ويخفى أراءه الخاصة حتى لا يشتبك فى خصومه وبهذا يظل طوال حياته معه. ولعل هذا هو لون الشخصية التى فرضتها علينا فى الشرق الحضارة الغربية. وهو بعيد جدا عن مقومات شخصيتنا الإسلامية الأصيله. ومع الأسف فإننا قد مضينا شوطا مع هذه المدارس فأفقدتنا الحياة وماتت فى نفوسنا روح الجرأة والشجاعة الأدبية.

وما أحرانا وقد بدأنا نتحرر من الاستعمار والاستبداد. ونفشىء الحياة فى الشرق كله. ونعد المجتمع الإسلامى الموحد المتماسك القوى أن نعود إلى مدرسة الصوفية.

هذه المدرسة القائمة على قدرة النفس على قمع الشهوات ومقاومة

المطامع والبذل فى سبيل الفكرة والاستماتة فى سبيل العقيدة الصادقة .

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة والإيمان . ولا شك أن الإنتصارات التى بهرت ولا تزال تبهر المؤرخين الباحثين فى تاريخ الإسلام إنما هى ثمرة الصوفية الصادقة .

وتاريخ التصوف يفيض بأروع الأمثال وحسبنا قصة عيسى الغواص هذا الصوفى الذى كان يستطيع الغوص فى البحر من جانب فلا يظهر إلا فى الجانب الآخر .

كان المسلمون محاصرون فى عكا أيام الحرب مع الصليبيين . وكان الاتصال بينهم وبين المسلمون خارج الحصار قد انقطع بعد أن ضغط العدد عليهم ضغطاً شديدا ومن ثم أصبح من العسير ايصال المؤن والذخائر إلى الجماعة المحصورة . وكان لا بد من عبور مسافات طويلة فى الماء لتحقيق هذا الغرض .

وتطوع عيسى . كان يشد حول وسطه حزاما يحمل فيه كل ما يراد نقله من أموال أو رسائل أو غيرها من الأشياء الهامة . وقد ظل عيسى يقوم بهذه المهمة الشاقة مرات . كانت سفاراته بين الفريقين المحصورين غاية فى الأهمية والخطر ولم يكن هناك من يستطيع أن يؤدى مثل هذا الواجب فكانت عيون الجميع ترقبه وقلوبهم تخفق باسمه .

وذات ليلة أرسل صلاح الدين ثلاثة أكياس فيها ثلاثة آلاف جنيه من الذهب نفقة للمحاربين . وقد حملها عيسى ووضعها فى منطقه . وحمل الرسائل وغيرها وعام قاصداً الطرف الآخر من البحر . وكان من عادته أن يطلق حمامة زاجلة عندما يدخل عكا . ووصلت الحمامة مؤذنة بأن عيسى فى الطريق . ولكن دون جدوى فإن عيسى لم يصل .

وبعد أيام قذف البحر غريقا هو عيسى الغواص . وقد وجدت أكياس الذهب الثلاثة مشدودة على بطنه والرسائل معها . وكأنما أراد هذا الشاب الصوفى المجاهد أن يؤدى الأمانة ميتا بعد أن أداها حيا .

* * *

وفى الجانب الآخر ترى الصوفية هم أجرأ الناس فى قول كلمة الحق . يجبهون بها الأمراء والزعماء والحكام لايبالون الجزاء . فقد هانت الحياة

عليهم واستحفوا بزخرفها وانمحت من قلوبهم مطامعها فلم يعد يخيفهم الحرمان منها وكانوا يرددون مع الصوفى القديم « . . أن قتلى شهادة . وسجنى خلوه . وتغريبى سياحة »

والتاريخ يذكر شعيبا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى بأنهم كانوا زهاداً وصوفية . وقفوا موقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم . ورفضوا ما يقدم لهم من اعطيات أو هدايا

فاذا أضفنا إلى هذا ذلك الكفاح الضخم فى سبيل العلم الذى قام به أمثال الشافعى والغزالى والبخارى لم نعجب . فإن الصوفية الخالصة هى التى كانت تجعل هؤلاء أعلامه وغيرهم يستعذبون الكفاح والجهاد وتحمل المشاق فى سبيل الفكرة الخالصة المجردة من المطامع الدنيوية أو الجزاء العاجل .

وقصة البخارى من أروع قصص طلب العلم والجهاد فى سبيله . فقد امضى اكثر من عشرين عاما . وهو مسافر يتنقل فى الامصار الإسلامية يستمع إلى العلماء وينقل منهم ويتحدث إليهم ويحقق ما لديهم من حديث رسول الله . وكان السفر إذ ذاك غاية فى المشقة .

وقد اتاح له هذا أن يجمع اكثر من سبعين ألف حديث ، واستمع إلى اكثر من ألف شيخ من الذين يحفظون الحديث . يجد مع الواحد منهم حديثاً أو حديثين . ثم يسجل هذا كله . ويعود فيقارن بينه ويمحصه ويدرس قوة الرواة والتسلل ليصفى هذا كله إلى ستة آلاف حديث .

ومن مواقف التصوف الباهرة التى تجل عن الوصف ما احتمله ابن حنبل وابن تيمية فى سبيل الرأى .

ولسنا نستطيع أن ننسى هنا اولئك الجنود المجهولين الذين لم يذكر التاريخ اسمهم والذين قاموا بدور ضخم فى سبيل تحقيق انتصارات الاسلام وفتوحه . كان هؤلاء جميعا صوفية فى ظل المعنى الذى رسمناه للتصوف الخالص .

فلولا هذا الإيمان العميق ما استعذبوا الجهاد والنضال والبذل والتضحية ولتخلفوا فى بلادهم يعيشون حياة طيبة . ولكنها الصوفية الصادقة هى التى دفعتهم إلى استعذاب الجهاد والحرص على الموت والاستشهاد فى سبيل المبدأ والغاية .

وبهذه الروح الصوفية اندفعوا فى انحاء الجزيرة إلى أطرافها شرقا وغربا يغزون الروم وفارس فى عنفوانهما فدانتا لهم وخلف الشاطىء الشرقى للبحر الأبيض إلى حدود القسطنطينية ثم اقتحامهم افريقيا إلى مصر والمغرب والأندلس .

ثم فتحوا الهند وما وراء النهر وجنوبى فرنسا وايطاليا وهذه الانتصارات التى سجلها المسلمون فى اليرموك ودمشق واجنادين كلها انتصارات صوفية . وهؤلاء الذين دفعوا التتار والصليبيين عن بيت المقدس والمنصورة ودمياط وعين جالوت كانوا صوفية .

وأولئك الذين وصلوا إلى أسوار فينا وإلى نهر اللوا ، كانوا صوفية فى حدود فهى للصوفية الحقة .

* * *

ونحن اليوم فى حاجة إلى موجة من هذه الصوفية . الصوفية المقتحمة لا المنطوية . رياضة النفس عندها بالعمل لا بالسلبيه . عمادها مقاومة مطامع الدنيا ونحن فى قلب المعركة وليس ونحن جانحين إلى الإعتكاف. فليس هناك رهبانا فى الإسلام ولا انقطاع عن الدنيا .

والتصوف كما افهمه يهدف إلى القصد من متاع الدنيا رجاء متاع الآخرة . ويهدف إلى نفض اليد من البريق وشغل القلب عن المتاع فى سبيل المعانى العليا .

ولست أشك فى أن نظام الفروسية الذى اقتبسه الفرنجة من الشرق أيام الحروب الصليبية هو نظام صوفى يقوم على الشجاعة والمروءة والفتوة والكرم. وهو يهدف فى جملته إلى أن يجرد نفسه فى سبيل الأمة فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ويعيش للمثل الأعلى

وبعد أيها السادة فأننا نمر فى تاريخ الشرق الإسلامى بمرحلة الغروب وهى تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى . ومن شان هذا الكفاح أن تكون له ركيزة فى أعماق النفس ولن تكون هذه الركيزة الا إعداد نفوسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التى تتطلب صلابة النفس وقوة الإحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب ولن يتيسر هذا للشباب إلا بالتصوف الصادق .

نريد ذلك التصوف الذى تحسن النفس فيه بالقوة أمام غزوات الأعداء. والإستعلاء أمام الملذات والشهوات هذا التصوف الذى يحررنا من اغراء الترف والجنس والمادة . ويدفعنا فى الحياة كراما نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب فى سبيل غاية عليا . هى من صميم الأمانة التى حملها الحق جل وعلا للانسان بعد أن ناءت بها الجبال .

كلمات فى التصـــوف

● يقول الامام الجنيد : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن بالجهاد وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات ، الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول عليه السلام .

● ويقول ابن دينار: إياك أن تطمع فى الأنس بالله،وأنت تحب الأنس بالناس، وإياك أن تطمع فى حب الله وأنت تحب المنزلة عند الناس .

● وسئل البسطامى يوما : بأى شىء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : بقلب خاشع ، وفكر ساجد ، ومراقبة لا تغفل ، وقال : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة .

● ويقول أبو الفتح البستى : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، عادات السادات ، سادات العادات ، من أطاع غضبه ، أضاع أدبه ، رضى المرء عن نفسه ، دليل تخلفه ونقصه ، ربما كانت العطية امتحان ، والحرمان نجاة .

● يقول أبو سليمان الدارانى : إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله .

● وقال ابن سالم : الإيمان أربعة أركان : ركن منه الإيمان بالقدر ، وركن منه الإستعانة بالله عز وجل .

● وذكر عند سهل بن عبد الله التسترى الكرامات ، فقال : وما الآيات وما الكرامات شىء تنقضى لوقتها ، ولكن اكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك ، بخلق محمود .

الحقيقة المحمدية عند ابن عربى

للأستاذ فوزى عرفه

يمثل ابن عربى فى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية لوناً متميزاً . ذلك لأنه قرأ كتب الفلسفة وتأثر بها فزاوج بينها وبين طبعه الصوفى فى تمثل جميل ونظرات غنية عميقة فتحت مجالات جديدة للبحث والتنقيب يخوض فيها ذوو البصائر الفائقة والأذواق المرهفة فيضيفون إلى الإسلام غنى وثروة ويزيده نصوعاً ووضوحا .

يقول أستاذنا الجليل الدكتور محمد مصطفى حلمى « ابن عربى مثال صادق من الأمثلة التى يصح أن تتخذ دليلا على مبلغ ما وقع بين الفلسفة والتصوف من تزاوج إبان القرنين السادس والسابع . فهو وإن كان صوفيا من أصحاب الأذواق يصطنع ما يصطنعه هؤلاء من رياضات ومجاهدات ويؤثر ما يؤثرون من ذوق تنكشف فيه الحقيقة فقد انطوى كثير من مؤلفاته على كثير من المعانى الفلسفية والمنازع الميتافيزيقية التى تخيل إلينا ونحن نقرؤها أن كلامه فيها أدنى إلى أن يصدر عن صاحب نظر عقلى واستدلال منطقى إلى أن يصدر عن صاحب ذوق ووجد وحال » .

لهذا أثار ابن عربى حوله من المجادلة والمناقشة ألواناً من المعارك المحتدمة التى اشتد أوارها وازداد ضرامها وتعصب له أو عليه فريق فبعضهم نافح وكافح من أجله كمجد الدين الفيروزبادى وقطب الدين الحموى وصلاح الدين الصفدى وشهاب الدين عمر السهروردى وفخر الدين الرازى وجلال الدين السيوطى فى كتابه « تنبيه الغبى فى تبرئة ابن عربى » وعبد الرازق القاشانى وعبد الغنى النابلسى .

وقد لقى فى سبيل عقيدته من العنت والرهق فى حياته ومماته الشىء الكثير . فقد كادت العامة تفتك به فى مصر وكان بعض القاصرين يبولون على قبره وأراد أحد المنكرين أن يحرق تابوت الشيخ فخسف به دون القبر بتسعة أذرع فغاب فى

الأرض . والغالب أن العامة أنكرت عليه عقيدته لأنها قصرت عن فهم مراده إذ كان حسن السيرة طيب الخلق وما أنكر عليه من أنكر إلا لدقة كلامه لا غير فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفاً من حصول شبهة فى معتقده يموت عليها لا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ .

وليس يهمنا فى هذا المقام أن ندافع عن الشيخ ولا أن نبين فضله ومآثره وإنما نريد أن نعرج على نظريته الهامة فى الحقيقة المحمدية وكيف استطاع هذا الشيخ الفذ أن يعالج هذه المسألة فى جدة وطرافة ويعبر عنها تعبيراً يدل على أصالة وحسن تذوق .

يرى ابن عربى أن النبى ﷺ أول التعينات الذى تعين به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به من التعينات الغير المتناهية. والتعينات مرتبة ترتب الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص متدرج بعضها تحت بعض . والكلمة المحمدية تشمل جميع التعينات ولذلك فهى حكمة فردية لأنه واحد فرد فى الوجود لا نظير له وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المتنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت . تلك كلمة المحمدية الفردية مطلقا ولهذا أطلق عليه الشيخ فص الحكمة الكلية . ولكن للأنبياء أيضاً التعينات الكلية ولذلك قال عليه السلام فى حديث القيامة .. إنه يجىء النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجلان والنبى ومعه الرجل الواحد والنبى وليس معه أحد فله الجمعية المطلقة .. ولذلك جاء فى حقه وحق أمته .. وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .. وجاء أيضاً .. وما أرسلناك إلا كافة للناس .. ولهذا كان الاسم الأعظم مع نبينا محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء ومن فرديته يعلم سر قوله « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وكونه خاتم النبيين وأول الأولين وآخر الآخرين ومن كليته وجمعيته سر قوله « أوتيت جوامع الكلم » .

ثم كانت منشأته العنصرية خاتم النبيين وأول الأفراد الثلاثة ذلك لأن أول التثليث الاعتبارى إنما هو بالعلم والعالم والعلوم ومظهره فى الوجود هو هذا الأكمل بجامع الأحدية والشفعية والوترية فله الأولوية ومازاد على هذه الأولوية فإنه عنها فكان صلى الله عليه وسلم أول دليل على ربه لأنه أوتى جوامع الكلم التى هى

مسميات أسماء آدم فأشبه الدليل فى تثليثه والدليل دليل نفسه .

وهكذا جعل ابن عربى من حقيقة الرسول الفردية الأولى بما هو مثلث النشأة لذلك قال فى باب المحبة التى هى أصل الوجود — مخبراً عن النبى — « حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عين فى الصلاة » وقد ابتدأ الرسول بذكر النساء لأن المرأة جزء من الرجل فى ظهور عينها ومعرفة الإنسان بنفسه مقدمة على معرفته بربه لذلك قال عليه السلام « من عرف نفسه فقد عرف ربه ».

وما دام فى الإنسان جزء من الروحانية السامية فإنه يتقطع شوقاً إلى الذات الإلهية وقد قال تعالى « ونفخت فيه من روحى » وقال « يا داود إنى أشد شوقاً إليهم » فالشوق متبادل بين البشر والله . فأولئك الذين عرفوا ربهم يوالون أعمالهم ويتمنون لقاء ربهم بارتفاع حجاب أنينهم ليشهدوه بأعينهم ولا يتم بهم ذلك إلا عند الموت قبيل شوقهم إليه كما قال فى حديث التردد « ما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض نسمة عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له من لقائى » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت » ومن هنا يكون الموت رجعة إلى الأصل الذى صدر منه الإنسان ولهذا يتمناه أهل الشهود من الموقنين لأنهم فى كل وقت يشاهدونه ببعض تجلياته ويشتاقون إلى نور جماله فى سائر تجلياته وفى هذا قال أبو يزيد رضى الله عنه :

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

وهكذا يرى ابن عربى أنه ليس الرسول عليه الصلاة والسلام على هيئة الله تعالى وصورته فقط بل وكذلك أبناء آدم جميعاً والدليل على ذلك أن الإنسان لايشتاق إلا إليه لأنه سبحانه وتعالى نفخ فيه من روحه والله تعالى جمع فى هذا الإنسان جميع الصفات العنصرية والروحية فخلقه على صورته لأنه من الأركان الأربعة المسماة بالأخلاط ونشأ من ذلك أن أصبحت روح الإنسان ناراً ثم اشتق له منه شخصاً على صورته سماه امرأة فظهرت بصورته فحن إليها حنين الشىء إلى نفسه وحنت إليه حنين الشىء إلى وطنه وليس هذا الحب المتبادل بين الذكر والأنثى إلا بإرادة إلهية سامية وقدرة رحمانية عالية .

وأما الطيب فقد ذكره الرسول الكريم من الأشياء الثلاثة المحببة إليه وذلك

لأنه لما كان حائزاً لجوامع الكلم وهى هيآت اجتماعية بحقائق الحروف الأولية أى للمعانى المتفردة الجنسية والفصلية والصفات العارضة التى يتركب منها الماهيات المسماة كلمات أى الحقائق الظاهرة بالوجود الخارجى فإن الأنفاس فيضان الوجودات على الحقائق النوعية المتعينة بالتعينات الشخصية حتى يتحقق بالتكوين هى الأنفاس والأعراف أى الروائح الطيبة فعند ذلك حبب له الطيب فلذا أخره عن النساء تنبيها على أن النفس متأخر عن الأصل المتنفس الذى هو الأم أى التعين الأول وأول ما ظهر عن هذه الأم المسماة أم الكتاب باعتبار هو النفس الذى نفس الله به عن الحقائق التى هى أحرف هذا الكتاب وكلماته فظهرت به فهو مسبوق بالمتنفس بذلك النفس . وقد جعل الطيب تعالى فى هذا الالتحام النكاحى فى براءة عائشة رضى الله عنها فقال « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون » فجعل روائحهم طيبة لأن القول نفسى وهو عين الرائحة فمن حيث هو إلهى فهو طيب كله ولذلك قال فى خبث القوم « هى شجرة أكره ريحها » ووصف الملائكة بأنها تتأذى بالروائح الخبيثة ومن هنا لم يحبب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إلا الطيب من كل شىء .

وأما الثالث الذى به كملت الفردية فالصلاة فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة لأنها مناجاة بين الله وبين عبده كما قال الله تعالى فاذكرونى اذكركم وهى عبادة مقسومة بين الله وبين عبده نصفين فنصفها لله ونصفها للعبد . قال تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرنى عبدى — يقول العبد الحمد لله رب العالمين — يقول الله حمدنى عبدى — يقول العبد الرحمن الرحيم — يقول الله أثنى على عبدى — يقول العبد مالك يوم الدين — يقول الله مجدنى عبدى — ثم يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين — يقول الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل — يقول العبد أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين — يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل ، ولما كانت الصلاة مناجاة بين العبد وربه فهى ذكر ومن ذكر الحق

فقد جالس الحق وجالسه الحق ولذلك قال تعالى « أنا جليس من ذكرنى » ومن هنا تؤدى الصلاة إلى الرؤية ومن لم يحصل درجة الرؤية فى الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين لأنه لم ير من يناجيه ومن لم يسمع ما يرد عليه من الحق فما هو ممن ألقى السمع وهو شهيد . وليس الصلاة الا دلالة على تفرد الإنسان بخصائص الوجود جميعها ذلك لأنه يقوم بحركات والحركة المعقوله هى التى نقلت العالم من العدم الى الوجود ففى الصلاة جميع الحركات وهى ثلاثة : مستقيمة وهى حال قيام المصلى وأفقيه وهى حال ركوع المصلى ومنكوسة وهى حال سجوده ففى الأولى يمثل الإنسان نفسه لأن الإنسان مستقيم وفى الثانية يمثل الحيوان وفى الثالثة يمثل النبات وليس للجماد حركة من ذاته فإذا تحرك فإنما يتحرك بغيره .

وللصلاة آداب ينبغى اتباعها وأهم هذه الآداب عدم الالتفات لأن الالتفات شىء يختلسه الشيطان من صلاة العبد فيحرمه مشاهدة محبوبه بل لوكان الحق محبوب هذا الملتفت والتفت فى صلاته الى غيرقبلته بوجهه . . ولقد أخبرنا تعالى بأنه يصلى علينا فالصلاة منا ومنه . وعلى هذا يكون حال المصلى على قدر استعداده فإذا احتفى بالصلاة واهتم لها وأقبل عليها فى خشوع وضراعة أحس لذة لا تعدلها لذة أخرى ذلك لأنه جزء من الوجود المطلق فله كمالات ومحامد مختصة به وكمالات يشترك فيها مع غيره فهو بالقسم الأول يحمد نفسه أى هوية الحق المقيدة بقيد تعين يقابلها لأن تلك المحامد لا تظهر على الوجه الذى ظهرت فيه الا منه وبه لا من غيره فليس الحمد والثناء الا لله ومن الله فى الحالين .

ويدلل على ذلك بقوله « من مدح الصنعة فإنما مدح الصانع بلا شك فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها وإله المعتقد مصنوع للناظر فيه فهو صفته فثناؤه على ماأعتقده ثناؤه على نفسه » وهكذا ينتهى إلى نظرية توحيد الأديان حيث رأى أن جميع المتجهين إلى الله بقلوبهم وصلواتهم إنما يقومون بعملية تقرب وزلفى إلى الله فلا تختلف من معتقد إلى معتقد لأنها متجهة إلى المحيط بأحديته المطلقة فلابد أن يحيط بجميع الصور الحسية والخيالية والوهمية فعلى أى وجه يكون ظن العبد فى معتقده من تشبيه حسى أو خيالى أو وهمى أو تنزيه عقلى فالله هو الظاهر بصورة معتقده ذلك ولا يظهر له إلا بتلك الصورة سواء أطلق العابد

فى تصوره أو قيد إلا أن الله قد شمل كل شيء ووسع كل شيء علما فلا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لايقال فيه يسع نفسه ولا يسعها ومن هنا لايجب أن نلوم ذا معتقد على معتقده لأن الكل فى القافلة يسيرون وكلهم فى رحاب الله متلهفون يرتشفون .

وهكذا رأى ابن عربى فى الحقيقة المحمدية أنها أول التعينات وأشملها وأنه أوتى جوامع الكلم ذو الفردية المطلقة والمكانة السامية وإذا كان قد حبب اليه من دنيانا النساء والطيب وجعلته قرة عينه فى الصلاة فما ذلك الا لأن هذه الأمور الثلاثة تعبر عن جوهر الرسول الكريم وتفصح عن مقامه العالى العظيم .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

علم النفس والسعادة الإنسانية

بقلم الأستاذ: حسنى طه شكيان

قلنا — بنور توفيق الله العظيم — إن عواطف الناس المكتسبة ، ونوازعهم الفطرية فى انسجامها تؤدى إلى خير الإنسانية فى درجات شتى حتى تصل لأرفع مستوى ، ونعنى بها حب الإنسانية كلها وتلك درجة القادة والأنبياء . . .

وقد رأينا لرسولنا الأعظم أروع الأمثلة فيما قدم للإنسانية من بر ومرحمة ، فهو حيث يستعين بالله من كل صور النقص والضعف ويقدم العلاج ، ويتقدم نحو الخير والحق والجلال كأعظم قائد للكمال عرفته البشرية . . .

واليوم نختم حديث علم النفس فى بحث السعادة والإنسانية عن إنسان الكمال محمد الكريم فى فصلى : المرض والعافية ، والشقاء والرحمة .

المرض ضعف وآلام تنزل بالمرء لإهماله قوانين الصحة من النظافة والتطهر والتجمل واتخاذ أسباب العافية الكريمة فى البدن للنفسى والعقل .

وقد استعاذ الرسول بربه من المرض وآثاره ومظاهره كلها فقال فى دعائه اللهم إنى أعوذ بك من الألم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . . . وأعوذ بك من الداء العضال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر . . .

وكل هذه مظاهر للضعف فى البدن والنفس وأمراض تسلم بالضعفاء من الناس ثم انتقل من الإستعاذة إلى العمل للوقاية من الأمراض . . . فالوقاية خير من العلاج ولن تجد دينا أعد الإنسان لحياة القوة والكمال البشرى ، والجمال فى صـــورة كاملة كالإسلام فإذا كانت العافية ترتبط كثيراً بالنظافة والتطهر من القاذورات فى المسكن والمطعم والمشرب والملبس ، فقد جاءت رسالة محمد بأروع صور النظافة والتطهر فلا بد فيها من خمس صلوات بين يدى الله ، ولا تصح الصلاة دون وضـــوء ، والوضـــوء تطهر ونظافة ، وتخلص من الأوساخ والأقذار

والنجاسات ، ولا بد من ماء طهور نظيف لذلك ، ولا تصح الصلاة مع نجاسات فى الثوب أو البدن أو المكان ، والنظافة كما يقرر الطب أول قانون فى الصحة والعافية وليس كالإسلام رسالة قررتها فى روعة وجمال فثمة الإغتسال الواجب أو الإغتسال المستحب فى كل يوم عيد وجمعه ، . . للتجمل أو للضرورة . .

وإذا ارتبطت العقد النفسية من حقد وحسد والاضطرابات العقلية بما يصيب المرء فى حياته فقد جاءت الصلاة — مع ما فيها من اتصال علوى كريم بالخالق الرازق المدبر الحكيم الرحمن الرحيم — جاءت من وراء هذا تطهراً كبيراً من اضطرابات النفس والعقل وسبيلا إلى طمأنينة القلب... فهى لسعادة الدنيا ونور الآخرة.

ولتسمع معى بعض حكمة الرسول فى ذلك : الوضوء سلاح المؤمن . . النظافة من الإيمان، تنظفوا حتى تكونوا شامة بين الأمم . . . ان الله جميل يحب الجمال . . نظيف يحب النظافة أترون اذا كان بباب أحدكم نهر يغتسل فيه خمس مرات فى اليوم . . هل يبقى ذلك من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا يارسول الله . . . قال : هكذا الصلاة الخمس . . .

وبذلك قرن بين الصلاة والنظافة والتخلص من جميع الأدران الظاهرة فى قذارة بالغسل وبالوضوء ، وبالأدران الباطنة من اضطرابات نفسية وآثام بالصلة بالله العظيم فى الصـــلاة . . . كما قرن بين هذه الأدواء كلها والكفر فقال : فرق ما بين المسلم والكافر الصلاة . . . فمن تركها فقد كفر فلا شك أن تارك الصلاة ان لم يكن كافراً بأنعم الله عليه فهو أقرب الى الكفر ومظاهره المتعلقة بالشكوك والاضطرابات النفسية العنيفة والحقد والبغضاء ، فهو أن نزل به بلاء ملأ الدنيا حقداً وبغضاء ، وان نزلت به نعماء طمع فى المزيد من غير شكر أو بالعدوان على حقوق الناس ، فلا ميزان للناس عنده ما دام لا يرقب الله فيهم ، وهو الى هذا ؛ لعدم تطهره لايبدو مشرق الوجة كما يبدو المؤمن المتطهر بالوضوء المتجمل بالنظافة ولذلك قال مستشرق : انه يستحيل على من يصلى صلاة محمد أن يكون مريضاً فى عقله أو فى نفسه كذلك اذا قال الطب إن كثيراً من الأمراض فى اللثة والمعدة يرتبط بنظافة الأسنان أدركنا حكمة محمد الطبيب الأكبر حين شدد فى الوصاة بالسواك ، فقال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . . وأما هو فما كان يتركه فى مرض أو عافية ، فى صوم أو افطار . . .

وإذا قال الطب ان كثيراً من الأمراض ترتبط بالمعدة وامتلائها، وادخال الطعام على الطعام، أدركنا حكمة محمد الطبيب الكامل حين يعلن: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع.. ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه.. فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه...، كما يربط بين الكفر والبطنه، وبين الإيمان والتخفف حيث يتيح المؤمن لنفسه خفة البدن للا نطاق الى ذكر الله والصلاة والعمل الصالح، فضلا عن الاقتصاد وترك بعض الطعام للغير فالتبذير والإسراف من أخلاق الكفرة واخوان الشياطين.. يقول الرسول الطبيب العليم:

« والمؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء وما عرف الطب حكمة كحكمة: الوقاية خير من العلاج...

وقد دل الرسول الكريم عليها الإنسانية أكرم دلالة بالتطهر والتجمل والتزين والنظافة والتخفف من الزوائد والاقتصاد للحاجة والتودد للغير بما فاض عن المرء وكل رسالته طهارة وجمال حتى يعلن الحق تبارك وتعالى: ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.. فيقرن التطهر من الذنوب والآثام بالتطهر من الأقذار والنجاسة.

أما اذا نزل البلاء لخطأ وقع فيه المرء فلا يتبرأ منه الطبيب الحكيم فهو يعلم بأن كل بنى آدم خطاء، ولكنه يقول وخير الخطائين التوابون، ولذلك يدلهم على طرق التوبة والرجوع الى الحق والجمال بما شوه الحق فى نفسه، والجمال فى حقيقته الظاهرة والباطنة، فيعلن الحكيم بأدواء النفوس والأبدان: ياعباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وجعل له دواء إلا داء واحد هو الموت... وبذلك يدفع المريض دفعاً إلى اتخاذ وسائل العلاج بكل جهد ومن كل سبيل حتى لايرضخ إلى المرض فتزداد علته، ويتفاقم بلاؤه.. ولاينسى أن يزودة بدعاء يرفعه إلى رب العافية وواهبها فيقول. ماسأل المرء ربه بعد تقوى الله خيراً من العافية.. ولاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية.:.

وفى ليلة القدر حيث يجاب الدعاء ولا سيما فى لحظات الإشراق الربانى تقول السيدة عائشة إذا أنا صادفتها وعرفتها فأى دعاء أقول يا رسول الله؟. فهى بذلك تسأله عن الدعاء الجامع فيقول الحكيم القائد إلى الكمال: قولى اللهم إنك عفو كريم

تحب العفو فاعف عنى . . والعافية كلمة جامعة للسلامة والجمال معا فى كل شئون المرء . والرسول حيث يدعو للعلاج من كل داء ينزل بالمرء يصف بعض الدواء لبعض الأدواء التى نزلت بأصحابه . . كشربة عسل ، أو حجامة ، أو الماء البارد عند الحمى التى يعتبرها من فيح جهنم كما وَصَف ووصِفَ بين يديه بعض الأطعمة والفاكهة والأعشاب علاجاً لبعض الأمراض ، والطب الحديث لا يرى بها بأساً وما يزال يوصى بها فى مثل هذه الأدواء وحدها أو مع غيرها . . . حقيقة بنفسها أو متخرجات منها فى الصيدلة الكيميائية . . . فالنحل يخرج منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . والزيتون صبغ للآكلين . واللبن شراب الفطرة والغذاء الكامل . . . الخ . ثم لا ينسى أن يزود المريض بعزيمة كبرى لا تضعف أمام المرض ، فكم من مرض ضوعفت آلامه من الخور النفسى ، ولكن الخبير بالنفوس يقول للمريض . . لا تخف فأنت بين يدى رحمة ربك ، وهو يناجيك ، ويطلب منك المناجاة ، وهو يطهرك من بعض الآثام والأوزار لتكون إنساناً كاملا فلا تضجر ولا تحزن .

« ما من هم ولا غم ، ولا نصب ولا وصب يصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا وضعت بها خطيئة ، ورفعت له بها درجة أو كتبت له بها حسنة . . . ويقول عن لسان ربه العظيم يوم القيامة يقول لبعض عباده * عبدى مرضت فلم تزرنى قال : رب كيف تمرض وكيف أزورك وأنت رب العالمين . . قال مرض عبدى فلان فلم تزره ولو عدته لوجدتنى عنده ... الخ الحديث . . . ويقول أيضا عن ربه : أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل رحمتى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أصيبهم بالأسقام والأمراض لأطهرهم من ذنوبهم فإذا جاءونى جاءونى ولا ذنب عليهم . . » وذلك تفسير الآية الكريمة : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . . . » وفى الحديث : إذا أحب الله عبدا ابتلاه ومن هنا يصاب المؤمن فلا يجزع لأنه إن كان آثما من قبل فهو تطهير له ، وإلا فهو رفع درجات ، ومناجاة لله العظيم . ومن ثم فلا يهلع ولا يكفر بقضاء الله وقدره شأن العتاة المتجبرين . . .

يتبع

أخبار صوفية

مشيخة الطرق الصوفية وموالد الأولياء

• داخل المنهج العام للنهضة الصوفية الشاملة يواصل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية كفاحه فى سبيل تطهير ساحات الاحتفال بموالد الأولياء مما تسرب إليها من العادات الدخيلة ، والتقاليد البالية ، حتى تغدو هذه المواسم الدينية الكريمة ، والذكريات الروحية العالية ، صورة حية لأخلاق ديننا ، ومبادىء رسالتنا ، وتطور نهضتنا .

وبمناسبة بداية موسم هذه الاحتفالات أرسل سيادته كعادته فى كل عام إلى الجهات الرسمية لتعاون مشيخة الطرق الصوفية فى هذا الواجب الدينى الكبير .

وقد تفضلت وزارة الداخلية فكتبت إلى المحافظات باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

ويسرنا أن ننشر على صفحات مجلة (الإسلام والتصوف) خطاب السيد اللواء المدير العام للإدارة العامة إلى سيادة وكيل الداخلية :

السيد وكيل وزارة الداخلية ... لشئون الأمن العام والشرطة بالإشارة إلى كتاب سيادتكم رقم ٣٥٥٣ المؤرخ ١٤/١٠/١٩٦٠ المرسل مغه كتاب السيد شيخ مشايخ الطرق الصوفية رقم ٤٣٥/٦٠ بشأن اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتطهير الموالد من العادات الدخيلة ، والتقاليد البالية وذلك بمناسبة إحياء مولد الإمام الحسين ، وسيدى مرزوق الأحمدى بالقاهرة والسيد أحمد البدوى بطنطا وسيدى إبراهيم الدسوقى بدسوق .

نفيد سيادتكم بأنه قد تحرر بتاريخ ١٥/١٠/١٩٦٠ لمديريات أمن القاهرة والغربية وكفر الشيخ لاتخاذ اللازم فى حدود التعليمات .

رجاء التفضل بالإحاطة : .

مولد الإمام الحسين

• أقام سماحة السيد محمد محمود علوان سرادقاً ضخما بميدان سيدنا الحسين بمناسبة الاحتفال بمولد سيد الشهداء الإمام الحسين .

وكان هذا السرادق مثابة للناس وكعبة لهم ، يرتاده فى كل ليلة الألوف من رواد المولد وزواره ، ويغشاه كبار رجالات العروبة والإسلام ، وأعلام الفكر والأدب ، ومشايخ الطرق ورجالهم ، يستمعون إلى الموعظة الحسنة ، والأناشيد الصوفية الرفيعة ، ويشاهدون حلقات الذكر الشرعية .

كما مدت موائد الطعام للناس عامة ، وللفقراء خاصة ، طوال ليال الاحتفال .

وفى الليلة الختامية ، ألقى الأستاذ الكبير حسن كامل الملطاوى وكيل وزارة الخزانة ، كلمة روحية قيمة أحاط فيها بجهاد الإمام الحسين واخلاقه وآدابه ومثله العليا .

مولد القطب الدسوقى

يحتفل فى العاشر من شهر نوفمبر الحالى ببداية مولد القطب الولى العارف بالله ، السيد إبراهيم الدسوقى ويستمر الاحتفال به أسبوعاً .

مولد القطب البدوى

يحتفل بالليلة الختامية لمولد القطب الكبير السيد احمد البدوى فى مساء يوم الخميس ٣ نوفمبر الحالى .

مشايخ جدد

• وافق المجلس الصوفى الأعلى برياسة سماحة السيد محمد محمود علوان على تعين السادة الأساتذة حسين الجنيدى عضو مجلس الأمة ، وكامل عبد الجواد القاينى عضو مجلس الأمة وعبد العليم البكرى مشايخاً لطرقهم .

فى احتفالات المولد النبوى بالاسكندرية

• نشرنا بالعدد الماضى احتفال رجال الطرق الصوفية بالاسكندرية بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وقد سقط سهوا الكلمة الخاصة بالمجهود الذى بذله السيد ابراهيم بيومى سليمان نائب السادة البرهامية فى هذه الاحتفالات .

فى الأفق الثقافى

• تستعد مشيخة الطرق الصوفية لإصدار الكتاب الصوفى الخالد « تذكرة الأولياء » للإمام فريد الدين العطار ويشرف على اعداده وتحقيقه الأستاذان طه عبد الباقى سرور ، والسيد محمد عبد الشافعى .

• يصدر فى هذا الشهر فى سلسلة المكتبة الثقافية كتابا عن الحب الألهى للكاتب الكبير الدكتور محمد مصطفى حلمى .

• قررت كلية الآداب بجامعة القاهرة على طلبة قسم الدراسات الفلسفية كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » الذى قام بتحقيقه والتقديم له ، الدكتور عبد الحليم محمود ، والاستاذ طه عبد الباقى سرور .